

دار
الشروق



المكتبة
الكلاسيكية

ويليام شكسبير
**حلم ليلة
في منتصف الصيف**

ترجمة: حسين أحمد أمين



دار الشروق

مقدمة

(١)

نبدأ بالعنوان المضلل للمسرحية ، وهو الذى يوحى بأن أحداثها وقعت فى منتصف الصيف ، بينما الواضح من النص أنها وقعت فى الفترة ما بين ٢٩ إبريل وأول مايو . ففى الفصل الرابع يتحدث ثيسوس عن العشاق الأربعة فيقول :

« لابد أنهم استيقظوا فى ساعة مبكرة للاحتفال مثلنا بمطلع الفجر ، وأداء طقوس عيد أول مايو ، وأن يكونوا قد علموا بنيتنا الخروج فجاءوا لاستقبالنا » .

ففى الغابة قضى العشاق إذن ليلة ٣٠ إبريل وصبيحة أول مايو . وإذا كان ليساندر قد طلب من هيرميا فى المشهد الأول من الفصل الأول أن تهرب معه إلى الغابة « غدا فى الليل » ، فلا بد من أن تكون أحداث المسرحية قد بدأت يوم ٢٩ إبريل . وفى ذلك المشهد يُمهّل ثيسوس هيرميا حتى يوم زفافه إلى هيبوليتا لتقرر ما إذا كانت تقبل الزواج من ديميتريوس . وحيث أنه فى الفصل الرابع (أى يوم عيد أول مايو) نسمعه يسأل إيجيوس : « أليس اليوم هو اليوم المحدد لإدلاء هيرميا بردها وقرارها ؟ » ، فيجيبه إيجيوس بالإيجاب ، فلا بد من أن يكون حفل الزفاف فى ختام المسرحية قد تم فى ذلك اليوم .

غير أن ثيسوس فى مشهد المسرحية (أى يوم ٢٩ إبريل) يتحدث عن زفافه الذى سيحتفل به « بعد أربعة أيام » (أى فى ٣ مايو) ، وهو ما يوحى بأن المؤلف قد

إنتاج (جدران المعرفة) للنشر الإلكتروني المجانى
للمساهمة معنا Theknowledge_walls@yahoo.com

عدّل من مسار أحداث المسرحية أثناء كتابته لها ، ونسى تصحيح عبارة « بعد أربعة أيام » في مستهلّها .

فأحداث المسرحية إذن لا تقع لا في منتصف الصيف ، ولا حتى في شهر من شهور الصيف . والكثير من ترجمات المسرحية إلى اللغات غير الإنجليزية تغفل من العنوان كلمة « منتصف » وتجعله « حلم ليلة صيف »^(١) . غير أننا رأينا الاحتفاظ بالعنوان كما هو ، على أساس أنه ربما كان شكسبير قد أسماها بهذا الاسم لأن حفل الزفاف الذي عُرضت المسرحية أثناءه لأول مرة تمّ في منتصف الصيف ، (وإن لم يكن ثمة دليل على ذلك) ، أو لأنها شبيهة بالأحلام الغريبة التي يراها النائم في ليالي منتصف الصيف بتأثير شدة حرارة الجو .

(٢)

أما تاريخ كتابة شكسبير لهذه المسرحية فحوالى عام ١٥٩٥ ، حين كان في نحو الحادية والثلاثين . فإن كان الشك لا يزال يحيط بتاريخ كتابته لمسرحياته ، خاصة تلك التى كُتبت قبل عام ١٥٩٨ ، فبوسعنا أن نذكر في شيء من الاطمئنان أن السنوات فيما بين ١٥٩٤ و ١٥٩٦ شهدت تأليف المسرحيات التالية :

« سيّدان من فيرونا » - « خاب مسعى العشاق » - « روميو وجوليت » - « ريتشارد الثانى » - « حلم ليلة في مُنتصف الصيف » . وثمة في المشهد الأول من الفصل الثانى حديث طويل لتيتانيا ملكة الجن - لا دخل له على الإطلاق بأحداث المسرحية - عن اضطراب نظام الفصول وما نجم من كوارث عن تقلّب الطقس ، يوحى بأنه وصف للأحوال الجوية الشنيعة التى سادت انجلترا عام ١٥٩٤ ، والتى تحدّث عنها عدة مصادر معاصرة وصلت إلى أيدينا .

وقد صدرت الطبعة الأولى من المسرحية عام ١٦٠٠ ، أثناء حياة المؤلف ،

وبترخيص من فرقته . ثم ظهرت الطبعة الثانية عام ١٦١٩ (بعد وفاته بثلاث سنوات) ، وإن كان قد كُتب على غلافها كَذِباً أنها طُبعت عام ١٦٠٠ . وهى طبعة صحّحت أربعة أخطاء مطبعية وردت في الطبعة الأولى ، واحتوت على أكثر من ستين خطأ جديداً . وإلى هذه الطبعة الثانية الرديئة استندت طبعة الفوليو الأولى عام ١٦٢٣ الحاوية لكل مسرحيات شكسبير (عدا مسرحية بركليس) . . . وحيث إن الطبعة الأولى قد اعتمدت على مسوّدَة بخط المؤلف ، فهى أجدر الطبعات القديمة بالثقة ، ولا تثير من المشكلات ما تثيره معظم المسرحيات الأخرى التى لم تطبع إلا بعد وفاة شكسبير . . . ومن الشائق أن نذكر هنا أن المؤلف وفرقته المسرحية لم يكن من مصلحتهما عادة نشر التمثيليات التى يقدّمانها على المسرح فى كتب ، حتى لاتستخدم النصّ المطبوع فرق أخرى ، وحتى لا يؤثر طبعها فى إقبال الجمهور على مشاهدتها . فالمسرح كان ههنا الأول والآخر . غير أن إعجاب الناس بشكسبير دفع بعض الناشرين أثناء حياته إلى بذل الجهود سرّاً للحصول على نصوص مسرحياته لطبعها ، وإلى رشوة بعض ممثلى الأدوار الثانوية حتى يُملأوا عليهم النصوص كما وعتها ذاكرتهم .

ويكاد يكون مؤكداً أن المسرحية أُلّفت كى تمثل أثناء حفل عُرس ، وإن كان ثمة خلاف حول هوية صاحب الحفل ، وحول ما إذا كانت الملكة إليزابيث الأولى من بين المدعويين إليه . فحديث ملك الجان الطويل فى ختام المسرحية الذى يدعوه فيه للعروسين باليمن والبركات ، ولنسلهما بالحظ السعيد ، ولصاحب الدار بالخير والسرور ، لا يكاد يكون له مبرر غير تمثيل المسرحية أثناء حفل زفاف . أما عن حضور الملكة إليزابيث الحفل فىرى البعض فى ذلك استحالة مع ما ورد فى الفصل الأول من استنكار لحياة العزوبة (وقد بقيت إليزابيث طيلة حياتها دون زواج) ، فى حين يرى الآخرون أن ثناء أوبيرون ، ملك الجان ، على إليزابيث فى الفصل الثانى يوحى بأنها كانت من بين الحاضرين فى العرض الأول للمسرحية .

(١) هو فى الفرنسية مثلاً Le songe d'une nuit d'été فى ترجمة فرانسوا فيكتور هيجو .

السابقة إلى المصادر أن ثمة في المسرحية أربع مجموعات من الشخصيات : ثيسوس وهيبوليتا - العشاق الأربعة (هيلينا وديميتريوس ، وهيرميا وليساندر) - الجن - العمال . فإن كانت المسرحية تبدأ بحديث بين ثيسوس وخطيبته هيبوليتا عن زواجهما المرتقب ، فهي تنتهى باجتماع كافة أفراد المجموعات - مع ما لكل منها من شواغل خاصة - في حفل الزفاف .

ولا تنحصر عبقرية شكسبير في استطاعته التوفيق والجمع بين كل تلك العناصر المتنافرة في بناء تمثيلي واحد ، وإنما تتعداها إلى قدرته على خلق جو سحري يُغلف المسرحية كلها ، (وهو ما يُعتبر عنوان المسرحية ، « حلم ليلة في منتصف الصيف » ، مفتاحاً له وتعبيراً عنه) ، وكذا مهارته في المزج بين الكلاسيكية والرومانسية والواقعية في تناوله لأحداثها ، وتنقله الرائع السلس بين استخدام العمال للنثر ، والعشاق للشعر المُقَمَّى . والنبلاء للشعر المنثور ، والجن للأغاني . فإن كانت كافة شخصيات المسرحية - فيما عدا بوتوم ، وربما بك أيضاً إلى حد ما - باهتة المعالم (بحيث يمكن الحديث مثلاً عن ليساندر وديميتريوس بأنها العاشق رقم ١ والعاشق رقم ٢) ، فإن إتقان تصوير الشخصيات لم يكن هدف المؤلف ، وإنما كان هدفه خلق جو متميز من السحر عن طريق التحليق في سماء الخيال ، مما لا يدع حاجة أو داعياً إلى العناية بتصوير الشخصيات . وهو ما يذكّرنا إلى حد ما بمسرحيات تشيخوف وقصصه التي يظل جوّها ، لا شخصياتها ، هو العالق دوماً بذاكرة المشاهد أو القارئ .

(٤)

كتب صامويل بيبس في يومياته بعد نحو نصف قرن من وفاة مؤلف « حلم ليلة في منتصف الصيف » ، يقول :

٢٩ سبتمبر ١٦٦٢ :

« قصدتُ مسرح كينجز حيث شاهدت « حلم ليلة في منتصف الصيف » التي لم أشاهدها من قبل ، ولن أشاهدها أبداً مرة أخرى . فهي أسخف وأتفه مسرحية

أما عن المصادر التي استقى منها شكسبير عناصر مسرحيته فمتعددة ، رغم أن البناء والحبكة له ، ورغم أنه استوحى الكثير من خبراته الخاصة ومن ذكريات شبابه الأول في ستراتفورد . . . فقصّة الاحتفال بزواج ثيسوس من هيبوليتا ملكة الأمازونيات ، مأخوذة من « قصة الفارس » الواردة في « حكايات كانتربوري » لشوسر ، ومن ترجمة بلوتارك لحياة ثيسوس . فإن كان شكسبير قد استقى فكرة مسرحية « سيدان من فيرونا » من قصة الكاتب الأسباني مونتيايور « ديانا » (١٥٥٩) ، وتكملتها التي ألفها جاسبار جيل بولو عام ١٥٦٤ وأسماها « ديانا العاشقة » ، فقد عاد إلى استلهاهم أحداثها في « حلم ليلة في منتصف الصيف » ، فيما يتعلق بمطاردات العشاق في الغابة ، وتعاويد الحب التي أثرت في العلاقات بين هيرميا وهيلينا ، وليساندر وديميتريوس .

وقد أخذ شكسبير قصة بيراموس وثيسبي التي مثلتها جماعة العمال في حفل زفاف ثيسوس من كتاب « مسخ الكائنات » للشاعر اللاتيني أوفيد . أما العمال الستة أنفسهم (بمن فيهم النّسّاج بوتوم ، وهو أظرف شخصيات المسرحية وأحسنها تصويراً وأكثرها إشاعة لجو المرح فيها) ، فمن خلق شكسبير وحده . وأما الجنّ الصغير بكّ (المعروف في الريف الإنجليزي باسم روين جودفيلو) وكذا سائر الجن ، فقد استوحى شكسبير في تصويرهم الأدب الشعبي الإنجليزي ، وكتاب ريجينولد سكوت « اكتشاف السحر » الصادر عام ١٥٨٤ . ومن هذا الكتاب أيضاً ومن رواية « الجحش الذهبي » لأبيولوس (١٢٤ - ١٧٠ م) ، أخذ شكسبير فكرة رأس الجحش التي وضعها الجنّي بك مكان رأس بوتوم . ومن هذه المصادر وغيرها نقل المؤلف اسميّ أوبيرون وتيتانيا وبعض الأفكار عن رقصات الجن وأغانيهم ، وفكرة استخدام كوينس الخاطئ للنقط والفواصل ، مما يحدث اضطراباً يُفسد المعنى ، وقد يعكسه .

بيد أن المعجزة الحقيقية التي حقّقها شكسبير في هذه المسرحية (كما في الكثير من مسرحياته الأخرى) تتمثل في خلقه وحدة واحدة بالغة الانسجام والسلاسة والعذوبة من كل هذه العناصر التي استوحاها من مصادر عدّة . وتوضّح إشارتنا المختصرة

شاهدتها في حياتي . وكان استمتاعى الوحيد هو ببعض الرقصات فيها ، وبجمال بعض الممثلات !

غير أن المؤكد من تاريخ المسرحية منذ عرضها الأول وحتى يومنا هذا أنها كانت دوماً من أحب مسرحيات شكسبير إلى قلوب القراء والمشاهدين ، بل وإلى كبار الشعراء من أمثال ميلتون وكيثس . يشهد على ذلك إقبال الموسيقيين على تلحين عدة أوبرات مستقاة منها ، أشهرها أوبرا هنرى بورسيل (عام ١٦٩٢) المعروفة باسم «ملكة الجان» ، وأوبرا بنجامين بريتين « حلم ليلة في منتصف الصيف » عام ١٩٦٠ ، وقيام مندلسون بكتابة افتتاحيته الموسيقية الشهيرة للمسرحية عام ١٨٢٦ ، وماكس راينهارد بتحويلها إلى فيلم سينمائى عام ١٩٣٥ ، والمخرج المسرحى الشهير بيتر بروك بإخراجها لإخراجاً فريداً في بابيه عام ١٩٧٠ لتقديمها على المسرح في ستراتفورد بلدة شكسبير ، وتولى عرضها عامًا بعد عام في الهواء الطلق بحديقة ريجينتش بارك في لندن . كل هذا بالرغم من أنه نادراً ما وُقِّعَ مخرجٌ للمسرحية طوال القرون الأربعة التى مرّت على تأليفها (١٥٩٥ - ١٩٩٥) إلى تحقيق التوازن المثالى بين العناصر المختلفة فيها . ويقول النقاد اليوم إن هذه المسرحية كانت من أحظى مسرحيات شكسبير بالشعبية والنجاح في القرن العشرين .

* * *

فإن كان لابد من الإشارة إلى محور رئيسى للمسرحية ، فهو الأنماط المختلفة من الحب ، وما تحفّ بالحب عادة من متاعب وصعاب . . ففى المشهد الأول من الفصل الأول :

ليساندر : واحترّ قلباه ! ما قرأت من شئ ولا سمعتُ من القصص والتاريخ إلا فهماً منه أن طريق الحب هو دوماً محفوف بالمصاعب والأشواك . .
فثمة إما تفاوت المكانة الاجتماعية بين الحبيبين

هيرميا : ما أضخمها من عقب تحول دون وُصْل المغمورين !

ليساندر : أو تفاوت كبير في السن بينهما

هيرميا : ما أكبرها من عقبة تحول دون وُصْل الشباب !

ليساندر : أو أن الأمر والاختيار في يد الأصدقاء

هيرميا : ما أبشعها من عقبة تترك أمر اختيار الحبيب لأعين الآخرين !

ليساندر : أو حتى إن توقّرت المحبة والكفاءة ، فكثيراً ما كان الحب مهدداً بنشوب الحرب ، أو حلول الموت ، أو وفود المرض ، ما يجعله مؤقتاً كالصوت ، عابراً كالخيال ، قصيراً كالخلم ، خاطفاً كالبرق في الليلة الظلماء .

وفى نفس المشهد تستفسر هيلينا البائسة في حبها لديميتريوس عن سر استحواذ صديقتها هيرميا على قلبه وهى العاشقة لغيره :

هيلينا : علّمنى إذن كيف أبدو وأظهر . . علّمنى ذلك الفن الذى مكّنك من التحكم في خلجات قلب ديميتريوس .

هيرميا : أعبس في وجهه فيظل صامداً في حبه لى .

هيلينا : ما أحرى ابتساماتى أن تتعلم هذا الفن من عبوسك !

هيرميا : أغمره بلعناتى فيغمرنى بحبه .

هيلينا : ألا ليت لتوسلاتى نفس تأثير لعناتك .

هيرميا : كلما زادت كراهيتى له زاد تعلّقه بى .

هيلينا : وكلما زاد حبى له زادت كراهيته لى .

والأهم من ذلك كله عند شكسبير هو إبراز فكرة أن الحب أعمى ، بمعنى أنه خاضع لنزوات قوى غير بشرية (يمثلها في هذه المسرحية الجنيان أوبيرون وبّك) ، مما يدفع العاشق دفعاً ، ودون إرادة منه ، إلى توهم الفضائل والمحاسن كلها في العارى منها ، والتعامى عنها في المتحلّى بها ، والتنقل من هوى إلى آخر دون أدنى مبرر ، مع الظن أنه فى هواه الأول كان واهماً أو غرّاً بليداً ، ثم صارت له بعد زوال الوهم عينان مبصرتان واضحتا الرؤية :

ليساندر : لم أكن في وعي حين أقسمت لها أنى أهواها .

هيلينا : ولا أنت في وعيك الآن إذ تقرآن تنساها !

فهو قدّر لا دخل لإرادات البشر فيه ، وسهم من سهوم كيوييد يصوّبه في أى اتجاه شاء .

* * *

والمرحبة مع ذلك هى في رأى في غنى عن التعليق والتحليل والبحث عن محورها وفكرتها الرئيسية . فهي إنها تدعونا فحسب إلى الاستمتاع بها ، والاستغراق في شاعريتها وسحرها وسعة الخيال فيها وجمال نسيجها متعدد الألوان . وهو استغراق يلهينا عن حشد من الأخطاء التاريخية وغير التاريخية التي وقع شكسبير سهوا فيها ، أو كان متنبها إليها ولكنه لم يعبأ بتصحيحها : كالأشارة إلى ثيسوس (وهو من أبطال الأساطير الإغريقية القديمة) باعتباره « دوق » أثينا ، والحديث عن ساعة تعلن دقاتها عن حلول منتصف الليل ، وعن كنائس والمقابر في أفنيثها ، وعن نظام الرهينة ، وعن عمال ذوى أسماء وسماوات إنجليزية ، وعن طلاقات البنادق ، وعيد القديس فالتين ، وعقائد مسيحية شتى ، هذا بالإضافة إلى ما أشرنا إليه آنفا من خطأ في تحديد الفترة التي وقعت فيها أحداث المسرحية ، وربما في عنوان المسرحية ذاته .

حسين أحمد أمين

مصر الجديدة في ١٨ إبريل ١٩٩٤

شخصيات المسرحية

ثيسوس	دوق أثينا
هيوليتا	ملكة الأمازونات (١) ، وخطيبة ثيسوس
ليساندر	شاب أثيني يعشق هيرميا
هيرميا	شابة تعشق ليساندر
ديميتريوس	شاب أثيني يعشق هيرميا
هيلينا	شابة تعشق ديميتريوس
إيجيوس	والد هيرميا
فيلوسترات	المشرف على تنظيم الاحتفالات في بلاط ثيسوس
بوتوم	نَسَاج
كوينس	نَجَّار
فلوت	مصلح المنافع (٢)
سنات	سمكري
ستار فلينج	خيَاط
سَنَج	نَجَّار

عمال أثينيون

(١) الأمازونات : نساء محاربات زعمت الأساطير الإغريقية أنهن كن يقمن في مملكة هن قرب البحر

الأسود .

(٢) جمع منفاخ .

أوييرون
تيتانيا
بَكْ
زهر البسلة
نسج العنكبوت
عُتَّة
حب الخردل

ملك الجن
ملكة الجن
(أوروبين جودفيلو) خادم أوبيرون

من الجن

أتباع - رجال البلاط - جنّ وجنّيات

تقع أحداث المسرحية في أثينا وغابة خارجها

مشاهد المسرحية

الفصل الأول :

المشهد الأول : قصر الدوق في أثينا

المشهد الثانى : منزل كوينس في أثينا

الفصل الثانى :

المشهد الأول : غابة قرب أثينا

المشهد الثانى : مكان آخر في الغابة

الفصل الثالث :

المشهد الأول : في الغابة

المشهد الثانى : في الغابة

الفصل الرابع :

المشهد الأول : في الغابة

المشهد الثانى : منزل كوينس في أثينا

الفصل الخامس :

المشهد الأول : القصر في أثينا

المشهد الثانى : مكان آخر في القصر

الفصل الأول

المشهد الأول

قصر الدوق فى أثينا

(يدخل ثيسوس وهيوليتا مع فيلوسترات وأتباع آخرين)

ثيسوس : ساعة زفافنا تقترب ، أى هيوليتا الحسنة . وبعد أربعة أيام سعيدة يظهر هلال الشهر الجديد . ومع ذلك فإنى لأخال القمر القديم متباطئا فى أفوله ، فيقف تباطؤه حائلا بينى وبين تحقيق رغباتى ، كما تقف الأرملة أو زوجة الأب حائلا بين الشاب وبين أن يرث ثروة أبيه .

هيوليتا : سرعان ما سيُغْلَف الليلُ كلَّ نهار من تلك الأيام الأربعة ، وتقطع الوقت أحلام كل ليلة من الليالى الأربع . وبعدها يشهد احتفالات زفافنا القمر الجديد ، وهو فى صورة قوس فضى تشده قبضة قوية فى السماء استعدادا لإطلاق السهم .

ثيسوس : إمض يا فيلوسترات ، وادعُ شباب أثينا إلى المشاركة فى الاحتفالات ، وأيقظ من سباتها روح المرح بصخبها وهجتها ، واصرف إلى الجنائز مشاعر الحزن الشاحب الذى لا يليق باحتفالنا البهيج .

(يخرج فيلوسترات)

خطبتُ موَدَّتِكَ يا هيوليتا بسيفى ، وظفرت بحبِّك عن طريق إلحاق

الأذى بك^(١) . غير أنى إذ أحتفل بزواجى منك سأهجع منوالاً آخر :
منوال الفخامة ونشوة الظفر وتهيئة اللذات .

(يدخل إيجيوس وابنته هيرميا ، يتبعهما ليساندر وديميتريوس)

إيجيوس : تمنياتنا بالسعادة لدوقنا الشهير ثيسوس .

ثيسوس : شكراً لإيجيوس النبيل . . ما أخبارك ؟

إيجيوس : إنها آتى إليك وملئى الغضب ، لأتقدم بشكوى من ابنتى هيرميا . .
تقدّم يا ديميتريوس . . مولاي النبيل ، لقد حظى هذا الرجل بموافقتي
على الزواج منها . . تقدّم يا ليساندر . . غير أن هذا الرجل يا سيدى
الدوق قد فتنّ بالسحر قلب ابنتى . . نعم أنت ، أنت يا ليساندر ،
أعطيتها قصائد الشعر ، وبادلتها هدايا المحبة ، وتسَلَلت إلى نافذتها في
ضوء القمر لتغنى - وقد غيّرت من صوتك - أغنيات تدعى فيها أنك
تحبها ، وغرّرت بها لتسلب حبها عن طريق إهدائك إياها خصللات من
شعرك ، وأقراطاً ، وهدايا لا قيمة لها ، وعطايا لا جدوى منها ، وأشياء
صغيرة وتفاهاة ، وباقات زهر وحُلوى ، وغير ذلك مما يؤثر تأثيراً قوياً
في الشباب الغرّ الذى لم تحنكه التجارب ، فسلبت بمكرك قلب ابنتى ،
فإذا بواجب الطاعة الذى تدين به لى وقد تحوّل إلى تصلّب وعناد . . فإن
هى أبّت هنا - وفى حضرتك يا سيدى الدوق - أن تقبل الزواج من
ديميتريوس ، فاسمح لى أن أتمسك بحقى وفق التقاليد الأثينية
القديمة ، وباعتبارها ملكاً لى ، فى أن أتصرّف فى شخصها كما يحلولى .
فإما أن تقبل هذا السيد ، أو فليكن الموتُ جزاءها كما يقضى قانوننا
المتعلّق بمثل هذه الحالة .

ثيسوس : ما قولك يا هيرميا ؟ إستمعى إلى نصحى أيتها الفتاة الجميلة ، وليكن

(١) كان ثيسوس قد حارب الأمازونات ، وهزمهن ، وسبى ملكتهن هيبوليتا فى الحرب

أبوك بمثابة إله لك . فإليه يرجع الفضل فيما تتمتعين به من مفاتن .
نعم . وما أنت إلا كقالب من الشمع قد طبعه بطابعه ، ومن حقه أن
يحفظ بهذا القالب كما هو أو أن يمسخه بإرادته . . ثم إن ديميتريوس
سيد جدير بك .

هيرميا : وكذا ليساندر .

ثيسوس : نعم ، هو جدير بك فى حدّ ذاته . غير أن افتقاره إلى رضا والدك يجعل
الآخر أكثر جدارة .

هيرميا : كم كنت أتمنى أن ينظر أبى إليه بعينى .

ثيسوس : بل كان الواجب أن تهتدى عينك برأيه .

هيرميا : صفحا ومغفرة يا مولاي . . إننى لا أدرى أى قوّة تلك التى تمدّنى بهذه
الجرأة ، ولا كيف سيؤثر فى سمعتى تعبيرى عن رأبى فى حضرة
كحضرتك . غير أنى أتوسل إلى مولاي أن يُعلمنى بالمصير الذى
يتهدّدى فى هذه الحالة ، إن أنا أبيت الزواج من ديميتريوس .

ثيسوس : إما الموت أو اعتزال الناس إلى الأبد . . لذا فإنى أدعوك أى هيرميا الحسنة
أن تعيدى النظر فى رغائبك ، وأن تقدّرى صغر سنك ، وأن تكبحى
جهاج نزوتك ، وأن تفكرى جيّداً فيما إذا كان بوسعك - متى أبيت
الانصياع لرغبة والدك - أن تحتلمى زوى الراهبات ، وأن تحبى إلى الأبد
سجينة فى دير مظلم ، وتظلى عقيمة طيلة عمرك تصلين لإلهة القمر
العقيمة الباردة . . صحيح أن الآلهة تبارك أولئك اللواتى يُمكنهن بقوة
بعنان رغباتهن ، حتى يلتزمن بالعفة طيلة مسار حياتهن . غير أن تقطير
الورود يضمن فى هذه الحياة الدنيا سعادةً أوفر من تلك التى ستكون من
نصيب من اختارت حياة العزوبة ، فتنمو وتعيش وتموت معلقة على
أشواك العذرية وقد ذبلت نضارتها .

هيرميا : إننى لأفّضل يا مولاي أن أنمو وأعيش وأموت على هذا النحو الذى
ذكرت ، على أن أسلم عُذرتى لهذا السيد الذى تأبى روحى أن تُسلم له
قيادها وترفضه .

ثيسسيوس : بل فكرى فى الأمر بضعة أيام . حتى إذا ما هلّ هلال الشهر الجديد ، وحلّ يوم توثيق عهد المودة الأبدى بينى وبين من ملكت فؤادى ، كان عليك إما قبول عقوبة الموت لعصيانك أمر أبىك ، أو قبول ديميتريوس زوجا لك كما قضت إرادته ، أو أداء القسم عند محراب الإله ديانا بالتزام التقشف وحياة العزوبة إلى أبد الأبدى .

ديميتريوس : لتراجعى ، أى هيرميا الرقيقة عن موقفك ، ولتهجر ، أى ليساندر مطالبتك الحمقاء بما هو حق أكيدلى .

ليساندر : ما فى جعبتك يا ديميتريوس غير حب أبىها لك . أما عنى فأملك محبتها . فلتتزوج إذن من أبىها !

إيجيوس : أتسخر يا ليساندر ؟ صحيح أنه يتمتع بمحبتى . غير أن محبتى ستغدق عليه ما أملكه . وإذ هى فى عداد ملكى ، فإنى أهبه كل حق لى عليها .

ليساندر : إننى يا مولائى من عائلة كريمة كعائلته ، ومكانتى فى المجتمع لا تقل عن مكانته ، وحبى لهيرميا أقوى من حبه لها ، وثروتى تعادل ثروته إن لم تكن تفوقها . غير أن الأهم من كل هذه المزايا التى يتفاخر الناس بها ، هو أن هيرميا الجميلة تحبنى . فلماذا أطالب إذن بالتوقف عن المطالبة بحقى ؟ ثم إنى سأقولها هنا صراحة وأمام ديميتريوس ، أنه غرّر بابتة نيدار ، وتُدعى هيلينا ، وأقنعها بأنه يحبها فوقعت فى غرامه . وها هى الفتاة الطيبة الآن تهيم بهذا الفتى المتقلب الذى لا يمكن الوثوق به ، وتعشقه بل وتعبدته كما لو كان إلهاً .

ثيسسيوس : أعترف بأنى سمعت شيئا من هذا القبيل ، وكان فى نيتى أن أحادث ديميتريوس فى هذا الشأن ، لولا أنى انشغلت انشغالا كاملا بأمورى الشخصية فنسيته الأمر . . ولكن ، تعال معى يا ديميتريوس ، وأنت يا إيجيوس ، فلدى نصيحة خاصة لكل منكما . أما أنت أى هيرميا الحسناء ، فخير لك أن تُكَيِّفى رغباتك فى ضوء مشيئة والدك ، حتى لا يلفظك قانون أثينا الذى لا نملك أن نغيّره ، فيُقضَى عليك إما

بالموت أو بالتزام حياة العزوبة . . . هيا يا هيبوليتا . ما هذا الوجوم الذى طرأ عليك يا حبيبتى ؟ وهيا يا ديميتريوس وإيجيوس ، فثمة مهمة تتعلق بعُزُسنا أنوى إسنادها إليكما ، كما أنى سأحاذركما فى أمر يتعلق بكما . .

إيجيوس : تتبعك يا مولائى سامعين مطيعين

(يخرج الجميع عدا ليساندر وهيرميا)

ليساندر : ما الخبر يا حبيبتى ؟ ما لوجهك قد شحب وذبلت الورود فى خديك بهذه السرعة ؟

هيرميا : ربما لندرة المطر ، رغم استطاعتى أن أعوض عنه بغزارة ما ينهمر من عيني من الدموع .

ليساندر : واحرّ قلبه ! ما قرأت من شئ ولا سمعت من القصص والتاريخ إلا فهمت منه أن طريق الحب الحقيقى هو دوما محفوف بالمصاعب والأشواك . . فثمة إما تفاوت المكانة الاجتماعية بين الحبيين

هيرميا : ما أضخمها من عقبة تحول دون وُصُل المغمورين !

ليساندر : أو تفاوت كبير فى السن بينها

هيرميا : ما أكبرها من عقبة تحول دون وصل الشباب !

ليساندر : أو أن الأمر والاختيار فى يد الأصدقاء

هيرميا : ما أبشعها من عقبة تترك أمر اختيار الحبيب لأعين الآخرين !

ليساندر : أو حتى إن توفرت المحبة والكفاءة ، فكثيرا ما كان الحب مهددا بنشوب الحرب ، أو حلول الموت ، أو وفود المرض ، مما يجعله مؤقتا كالصوت ، عابرا كالخيال ، قصيرا كال حلم ، خاطفا كالبرق فى الليلة الظلماء . . إن شهد نوبة غضب اهتزت لها السماوات والأرض ، فإذا بفكئ الظلمة وقد ابتلعاه من قبل أن يكون بوسع لسان المرء أن ينبس بكلمة . . بمثل هذه السرعة إذن تتبدد الأشياء الجميلة الساطعة فى حياتنا .

هيرميا : إن كان طريق الحب الحقيقي هو دوما مخفوف بالمصاعب والأشواك ، فلا بد أن هذا هو قدره المكتوب .. وعلينا إذن أن نتسلح في محتنا بالصبر، ناظرين إلى المصاعب باعتبارها أمرا طبيعيا مألوفًا في الحب ، شأن الأفكار والأحلام والتنهدات والرغبات والدموع وغيرها من توابع الهوى المسكين .

ليساندر : كلام منطوق ومعقول . فاستمعي إلى إذن يا هيرميا .. لى عمّة أرملّة عجوز، واسعة الثراء ، لا أولاد لها . فأما بيتها فعلى بُعد سبعة فراسخ من أثينا .. وهى تعتبرنى بمثابة ابنها الوحيد .. هناك ، أى هيرميا الرقيقة ، بوسعنا أن نعقد زواجنا . فالمكان يخرج عن نطاق القانون الأثينى الصارم ومجال تنفيذه . فإن كنت تحبيننى فلتتسللى من دار أبيك غداً فى الليل ، وسأكون فى انتظارك فى الغابة التى تقع على بعد فرسخ واحد من المدينة ، فى المكان الذى قابلتك فيه مع هيلينا من قبل للاحتفال بعيد مايو .

هيرميا : أقسم لك ، أى ليساندر الرقيق ، بأقوى قويس يمتلكه كيوبيد ، وبأفضل سهامه مذهبة الرءوس ، وببراءة حائم فينوس ، وبكل ما يقرب بين العاشقين ويبارك حبهم ، وبالنار التى التهمت ملكة قرطاجنة وقد ألفت فيها بنفسها حين هجرها الطرّوادى الخائن مبحراً بسفينته ، وبكل عهود الهوى التى يحنث دوما بها الرجال ، والتى تفوق فى عددها عدد ما تقطعه النساء على أنفسهن من عهود ، أقسم بكل هذا أنى سأقابلك غداً فى ذلك المكان الذى ذكرته لى .

ليساندر : فلتوفى إذن بوعدك يا حبيبتي .. انظري ! ها هى ذى هيلينا قد أقبلت .

(تدخل هيلينا)

هيرميا : تحية لك أى هيلينا الحسنة . إلى أين تمضين ؟

هيلينا : تصفيننى بالحسنة ؟ تراجعى عن وصفك هذا ، فالحسنة التى يعشقها ديميتريوس هى أنت . ألا ما أسعدك من امرأة حسنة ! عيناك كنجمى القطب ، ونغم صوتك أجمل وقعاً من نغم القبرة فى مسمع الراعى وقت

اخضرار سنابل القمح وظهور البراعم .. ألا ليت للملامح عدوى كعدوى المرض ، حتى تنتقل إلى الآن عدوى ملامحك يا هيرميا الحسنة ! حينئذ تنصيد أذنأى صوتك ، وينتقل إلى عيني جمال عينيك ، وإلى لسانى أنغام صوتك العذب .. ألا لو كانت الدنيا بأسرها ملكاً لى ، لأعطيها لك مقابل قلب ديميتريوس ! علّمنى إذن كيف أبدو وأظهر . علّمنى ذلك الفن الذى مكنك من التحكم فى خلجات قلب ديميتريوس .

هيرميا : أعبس فى وجهه فيظل صامداً فى حبه لى .

هيلينا : ما أخرى ابتساماتى أن تتعلم هذا الفن من عبوسك !

هيرميا : أغمره بلعناتى فيغمرنى بحبه .

هيلينا : ألا ليت لتوسلاتى نفس تأثير لعناتك !

هيرميا : كلما زادت كراهيتى له زاد تعلقه بى .

هيلينا : وكلما زاد حبه له زادت كراهيته لى .

هيرميا : غير أنى لست مسئولة يا هيلينا عن حماقته ، ولا هى عن خطأ منى .

هيلينا : جمالك وحده هو المسئول ، وليت الخطأ كان منى .

هيرميا : هدثنى من روعك . فهو لن يرى وجهى بعد اليوم . لقد اعتزمت أنا وليساندر أن نهرب من المدينة .. لقد كانت أثينا تبدو كالجنة فى عيني قبل أن تقع عيني على ليساندر . فأية قوة تلك التى تكمن فى هوى إذ تحول الجنة إلى جحيم ؟!

ليساندر : سنكشف لك يا هيلينا سرّاً . فغداً عند المساء ، حين ترى الشمس خيالها الفضى فى مرآة الماء ، وحين تسكب على الحشائش طبقة من سائل اللؤلؤ ، وحين يخفى الظلام آثار العشاق الهارين ، قد قرّر عزمنا على أن تسلل خارجين من أبواب أثينا .

هيرميا : وسألتقى بحبيبى ليساندر فى الغابة .. تلك الغابة التى كثيراً ما كنت أنا وأنت نرقد فيها على فراش من الورود لنفرغ مكنون صدرينا ويكشف كل

الفصل الأول

المشهد الثانى

منزل كوينس فى أثينا

(يدخل عدد من العمال : كوينس ، وشنج ، وبوتوم ، وفلوت ، وشناوت وستار فلينج)

كوينس : هل اكتمل عددنا ؟

بوتوم : الأفضل أن تنادى عليهم مجتمعين^(١) ، فردًا فردًا ، وفق القائمة .

كوينس : هذه قائمة بأسماء جميع الرجال الذين اعتبرتهم أثينا بأسرها صالحين للتمثيل فى مسرحيتنا القصيرة التى سنعرضها أمام الدوق والدوقة ليلة حفل زفافهم .

بوتوم : أذكر أولاً يا عزيزى كوينس شيئاً عن موضوع المسرحية ، ثم اقرأ علينا أسماء الممثلين حتى نصل إلى نتيجة .

كوينس : نعم . . فأما مسرحيتنا فهى الكوميديا المأساوية المتعلقة بالنهاية المفجعة ليراموس وثيسى .

بوتوم : أؤكد لكم أنها مسرحية ممتازة ومضحكة للغاية . والآن يا عزيزى بيت

(١) يقصد : فرادى . وهذا هو المثل الأول من عدة أمثلة لإساءة بوتوم استعمال الألفاظ فى هذه المسرحية .

منا للآخر عن أسرار قلبه . . عندئذ سنصرف أعيننا عن أثينا ، باحثين عن أصدقاء جدد ، وجماعات غريبة عنا . . وداعاً إذن يا رفيقة الصبا ، وصلى من أجلنا ، وعسى أن يمكّنك الحظ السعيد من أن تظفرى بديميتريوس . . أما أنت يا ليساندر فلا تنس الموعد ، وعلينا أن نحول بين أعيننا وبين طعام المحين حتى نلتقى فى منتصف ليلة الغد .

(تخرج)

ليساندر : سأفعل يا هيرميا . . ووداعاً يا هيلينا . وعسى أن يكون افتتاح ديميتريوس بك فى قدر افتتاحك به .

(يخرج)

هيلينا : ما أعظم التفاوت بين الناس فى قدر سعادتهم ! إن أهل أثينا يروننى فى مثل جمال هيرميا . فهل أفادنى ذلك وديميتريوس لا يرى ما يرون ، ولا يعلم ما يعلمه الكافة إلاه ؟ إنه يخطئ إذ أراه مفتوناً بعينيها ، وأنا أخطئ إذ يرانى الناس مفتوناً بصفاته . . لا شك أن بمقدور الحب أن يجعل من الأشياء الخاوية التافهة ضئيلة القيمة ، أشياء ثمينة ذات بهاء ورونق . فالحب لا ينظر بالعين بل بالفؤاد ، ولذا صوّر الناس كيويده المجنح أعمى معصوب العينين . كذلك فإن العقل فى الحب ينقصه سداد الرأى ، وما معنى الجناحين مع فقدان البصر إلا التسرع الأهوج . وما وُصف الحب بأنه طفل إلا لأنه كالطفل مخدوع فى اختياره . وكما أن الصبية الأوغاد يكذبون فى هوىهم ، فكذا يقترب الحب بالكذب فى كل مكان . . لقد كان من دأب ديميتريوس قبل أن يرى هيرميا أن يعطرنى بالعهود والوعود مقسماً أنه لا يجب سواى . فما التقى ذلك المطر بالحرارة التى تبثها فيه هيرميا ، حتى تبخر فى الهواء . . سأمضى فأخبره بما تعترمه هيرميا الجميلة من فرار . ولا شك فى أنه سيهرع فى أثرها إلى الغابة ليلة الغد . فإن شكرنى على إخبارى إياه ، فسأسعد بشكره رغم برودته وجفافه وقلة جدواه . ويكفينى أنى سأنعم برؤيته ، طوال رحلته إلى الغابة ورحلة عودته .

(تخرج)

كوينس عليك بالنداء على الممثلين وفق القائمة . . أرجوكم ألا تزدهوا حوله .

كوينس : وليجنى كل من أنادى على اسمه . . . نيك بوتوم النّساج !

بوتوم : موجود ! أخبرنى أى دور سألعبه ثم ناد على بقية الأسماء .

كوينس : قد وقع الاختيار عليك يا نيك بوتوم لتمثيل دور بيراموس .

بوتوم : ومن هو بيراموس هذا ؟ عاشق أم طاغية ؟

كوينس : عاشق يقتل نفسه ، عظيم اللباقة فى عشق النساء .

بوتوم : يعنى هذا أن الدموع ستسيل من الأعين متى أُجيد التمثيل . فإن أنا

مثلت الدورَ فليحرص المتفرجون على أعينهم ، حيث أنى أعترم إثارة

عاصفة من البكاء بإظهار لوعتى فى الغرام . غير أنى فى الواقع كنت

أفضل أن أمثل دور طاغية . . فالمؤكد أنى سأجيد دور هرقل^(١) ، أو

أى دور يتيح لى فرصة أن أصول وأن أجول وأن أصرخ وأن أهتف حتى

يهتز البنيان ويتصدّع :

الصخور الغاضبات

والضربات القاصبات

ستكسر الأقفال

وتحرّر الرجال

وسيسطع من بعيد

كوكبنا السعيد

فيعامل بازدراء

أقدارنا الحمقاء

ما رأيكم فى هذه البلاغة ؟ والآن نادِ على بقية الأسماء . . . إنها البلاغة

(١) يعنى هرقل بطل الأسطورة الإغريقية وأقوى الرجال .

الخليقة بهرقل ، الخليقة بطاغية . أما دور العاشق فدور أكثر رقة ونعومة .

كوينس : فرانسيس فلوت ، مصلح المنافع .

فلوت : موجود يا بيتر كوينس .

كوينس : أما أنت يا فلوت فستلعب دور ثيسبى .

فلوت : ومن هو ثيسبى هذا ؟ فارس متجول ؟

كوينس : هى السيدة التى سيقع بيراموس فى غرامها .

فلوت : أرجوك ألا تسند إلى دورًا نسائيًا ، فلحيتى قد بدأت تنمو .

كوينس : لا بأس فى هذا فإنك سترتدى قناعًا أثناء التمثيل . . ولكن عليك أن

ترقق من صوتك قدر الإمكان .

بوتوم : ما دمنا سنلبس أفتحة فلا لعب أنا دور ثيسبى أيضًا . سأتكلم بصوت

رقيق أجش : « آه يا ثيسبى ، يا ثيسبى ! » ، « أو اه يا بيراموس

ياحيبى . تعال إلى ثيسبى حبيبتك ومملكة فؤادك ! »

كوينس : لا ، لا . ستلعب أنت دور بيراموس ، وسيلعب فلوت دور ثيسبى .

بوتوم : حسنا إذن . . استمر .

كوينس : روبين ستار فلينج الخياط .

سترافلينج : موجود يا بيتر كوينس .

كوينس : ستلعب يا ستار فلينج دور والدة ثيسبى . . . توم شناوت السمكرى .

شناوت : موجود يا بيتر كوينس .

كوينس : ستلعب أنت دور والد بيراموس . وسألعب أنا دور والد ثيسبى .

ويلعب سنّج النجار دور الأسد . وبهذا على ما أمل ، يكتمل بناء

المسرحية .

سنّج : هل دور الأسد مكتوب ؟ إن كان مكتوبًا فأعطينى إياه الآن ، فأنا بطيء

فى الحفظ .

كوينس : يمكنك أن ترتجل الدور ، فهو مجرد زئير .

بوتوم : إسمح لي أن ألعب أيضًا دور الأسد . سأزأر فيطرب الجمهور لزئيري . .
سأزأر حتى يصيح الدوق : « دعوه يزأر مرة أخرى . دعوه يزأر مرة أخرى » !

كوينس : ولكنك ستجعل زئيرك مربعًا فتخيف به الدوقة وسائر السيدات ،
فيصرخن صراخًا هو كفيل بأن يقودنا جميعًا إلى حبل المشنقة .

الجميع : سيتسبب في شنقنا أجمعين .

بوتوم : معكم الحق أيها الأصدقاء . فلو أننا أطرنا صواب السيدات ، لم يبق في
رءوسهن عقل يحول بينهن وبين الأمر بشنقنا . غير أنني سأغتر من صوتي
بدرجة رهيبية ، فأجعل زئيري رقيقًا كهديل الحمام ، أو كزئير أى بلبل من
البلابل .

كوينس : لن تلعب دورًا غير دور بيراموس . ودعنى أطمئنتك إلى أن بيراموس هذا
رجل وسيم الوجه ، كامل الأوصاف كأي من الرجال الذين نراهم في يوم
من أيام الصيف ، وسيد رائع من كافة الوجوه . ولهذا فإن عليك القيام
بدور بيراموس .

بوتوم : حسنا ، سأقوم به إذن . . فأية لحية تليق بهذا الدور ؟

كوينس : أية لحية تختارها .

بوتوم : سأؤدى الدور في لحية من اللحي في مخزنك يكون لونها إما كلون القش ،
أو لون البرتقال ، أو لون الأرجوان الثابت ، أو لون العملة الفرنسية
الذهبية الصفراء .

كوينس : بعض هذه العملات الفرنسية التى تتحدث عنها لا شعر لها على
الإطلاق^(١) ، وبالتالي ستقوم بدورك وأنت حليق الوجه ! . . ولكن ،
ها هى أدواركم أيها السادة . . وإنى لأناشدكم ، وأرجوكم ، وأطالبكم

بأن تحفظوها قبل مساء الغد ، وأن تقابلونى في غابة القصر التى هى على
مسافة ميل خارج المدينة ، عند بزوغ القمر ، وهناك نتمرن على أداء
المسرحية . ذلك أننا لو التقينا في المدينة فسيجتمع الناس حولنا
للمشاهدة ويكتشفون خططنا . . وحتى ذلك الحين سأقوم بإعداد قائمة
بما تحتاجه المسرحية من ملابس ومناظر . . أرجوكم ألا تخلفوا الميعاد .

بوتوم : بل سنلتقى ، وستتمرن في جرة وفي خيفة عن الأنظار^(١) . فابذلوا في
حفظ الأدوار الجهد الخليق بطلب الكمال . . وداعا .

كوينس : عند شجرة بلوط الدوق نلتقى .

بوتوم : كفانا هذا . والعار لمن أخلف الميعاد .

(يخرجون)

(١) يقصد : « خفية عن الأنظار » .

(١) (يعنى أن داء الزهري (ويسمى أيضًا بالداء الفرنسى) يتسبب في سقوط الشعر .

الفصل الثانى

الفصل الثانى

المشهد الأول

غابة قرب أثينا

(تدخل جنّيةٌ من جانب ، وبِكَ من جانب آخر)

بك : أراك أيتها الجنّية تجولين . فإلى أين ؟

الجنّية : فوق الجبال أجول وفوق الوديان

وعبر الأدغال وعبر الأشجار

وفوق الحدائق وفوق المزارع

وعبر النيران وعبر الأنهار

أجول وأجول فى كل مكان

بأسرع مما يجول القمر فى السماء

فى خدمة ملكة الجنّيات الحسناء

لأنّثر الطلّ فوق الحشائش الخضراء

فأما السيقان الطويلة لزهر الربيع

فجنود الملكة . وأما ما فيها من بقع حمراء

فشارات تحملها معاطف الجُند الصفراء

إنّها الياقوت الذى تُنعم به الجنّيات

ومنها ينبعث سَدَى النباتات

سأَمْضى فأبحث هنا عن بعض هذه السيقان

وأعلق لؤلؤة في أذن كل منها فتزدان
وداعا فإني ذاهبة أيها الأحق الكسلان
واعلم أن الملكة وكافة الجن سيكونون هنا بعد ثوان .

بك : سيقم الملك هنا احتفالاً هذا المساء ،
فلتحذر الملكة من أن يكون بينهما لقاء .
فأويرون نائر غاضب أشد الغضب
لأنها سرقت من أحد ملوك الهند صبيًا جميلًا له ،
لتجعله تابعًا من أتباعها . إنه أجهل صبي سرقة .
وأويرون الغيور يريده ليجعله من حرسه الخاص ،
ليجول له في الغابات والأحراش .
غير أنها تتمسك بالغلام ،
وترزّن له رأسه بأكاليل من الزهر ،
حتى بات مصدر كل متعة لها .
والآن فإن الملكة والملك لا يلتقيان في بستان أو حقل ،
أو عند نافورة صافية تتلألأ فيها صورة نجوم الليل ،
إلا تجادلا وتشاجرا ، حتى لقد بدأ كافة أتباعهما من الجن
يتسلّلون من خوفهم داخل جوز البلوط ليختبئوا فيها .

الجنية : إما أنى قد أخطأت غاما في التعرف على شخصك ومظهرك ،
أو أنك في الحقيقة ذلك الجنى الخبيث الماكر
الذى يدعونه روين جودفيلو .
ألسنت أنت الذى يدأب على إثارة الرعب في بنات القرى ،
ويسرق من الحليب قشدته ،
ويندس أحيانا في المطاحن اليدوية ليعطل عملها ،

فيذهب جهد ربات البيوت اللاهثات هباء ؟
ألسنت أنت الذى تفسد الخميرة في الجعة ،
وتضلّل سُراة الليل ثم تضحك إذ جعلتهم يضلّون الطريق ؟
أما أولئك الذى ينعتونك بالجنى الظريف ، أو بك اللطيف ،
فتساعدهم على أداء أعمالهم وتجلب الحظ لهم .
ألسنت أنت هو ؟

بك : هذا صحيح . فأنا الهائم المرح أثناء الليل ،
أمازح أويرون وأجعله يبتسم ،
حين أخدع الحصان السمين الذى يتغذى على البقول ،
وأقلّد صوت مُهرته فيحسبني هي .
وأحيانا أدسّ بنفسى في شراب إمراة عجوز ،
متخذًا صورة سرطان مشوى ،
حتى إذا ما شربت من كأسها قفزت إلى شفيتها
فأريق النبيذ على لُعدها المتهدّل . .
وأحيانا تريد العجوز أن تجلس لتقص على الجمع قصة حزينة ،
فتصوّرني مقعدًا ذا أرجل ثلاثة ،
حتى إذا ما تبيّأت للجلوس ترحزحت عن عجيزتها ،
فتهوى على الأرض صارخة « إلحقوني » ! وتبدأ في السعال .
حينئذ ينفجر الجمع كله بالضحك وقد أمسكوا بجُنوبهم ،
ويزداد مرحهم فيعطسون ويقسمون أنهم ما قضاوا في حياتهم ساعة
أكثر مرحًا من تلك الساعة .
ولكن لتفسحى الطريق أيتها الجنية ، فها هو أويرون قد أقبل .

الجنية : وها هي مولاتي قد أقبلت . . ليت ما جاء !
(يدخل أويرون وأتباعه من جانب ، وتيتانيا وأتباعها من جانب آخر)
أويرون : من سوء حظى أن أقابلك في ضوء القمر ، أى تيتانيا المتغطرة !

تيتانيا : أهذا أنت يا أوبيرون الغيور ؟ لننصرف من هنا أيتها الجنيات ، فقد هجرت فراشه وقاطعت صحبته .

أوبيرون : بل إبقى في مكانك أيتها المرأة العنيدة . ألسنت زوجك ؟

تيتانيا : لو كان ذلك لكنث إذن زوجتك ! غير أنى أعلم جيداً أنك حين تسلفت من عالم الجن في صورة الراعي كورين ، كنت تقضى أياماً بطولها تعزف على ناي من بوص ، منشداً ألحان الغرام لمعشوقتك فيليدا (١) . . ولماذا عدت إلى هنا قادمًا من أقصى سهول الهند ؟ تريدنى أن أخبرك ؟ لأن الأمازونة المتوَّبة ، عشقتك التى ترتدى حذاء القنص ، وتحارب وتقاتل ، هى الآن على وشك الزواج من ثيسوس ، وأتيت أنت لتبارك فراشهما وتدعو لهما بالرفاء والبنين .

أوبيرون : عار عليك يا تيتانيا ! كيف تجرؤين على تشويه علاقتى بهيبوليتا وأنت تعلمين جيداً أنى على علم بحبك لثيسوس ؟ ألم تهدى له سبيل الهرب ليلًا من بيريجينيا التى اغتصبها ، وسبيل إخلاف وعوده لإيجليس الحسنة ، ولأريادنا وأنتيوبيا (٢) ؟

تيتانيا : كلها أكاذيب لَفَقْتَهَا غَيْرُكَ . . وما من مرة واحدة منذ بداية منتصف الصيف إجتمع فيها الجن على تل أو في وادٍ أو غابة أو مرج ، عند نافورة حجرية أو مستنقع أو ساحل بحر ، لرقص في حلقات على صوت عزف الرياح ، إلا عَكَرتْ أنت صفو بهجتنا بشجاراتك . . ولهذا فإن الرياح وقد رأت أن عزفها لنا قد أصبح دون جدوى ، سعت إلى الانتقام بأن امتصت من البحر سحاباتٍ مِلُّوْها الأمراض وأطلقتها على الأرض ، فامتلات بائها الأنهار بل والجداول الصغيرة وفاضت مياهها على الشُّطْطَان . . فإذا بالثور يحاول عبثًا أن يجرّ المحراث ، وإذا القائم بالحِث وقد ضاعت جهوده سُدَى ، وإذا سنابل القمح الخضراء تذبل قبل

نُضجها ، وتذوى قبل أن تنبت لشبابها لحية . . الحقول الغارقة في الماء قد خلت من قُطعان الماشية ، والغربان قد سمنت بأكلها اللحم المريض من أجسام الخراف الميتة ، والملاعب قد غمرتها الأرحال ، والممرات المتعرجة عبر الحقول الخضراء قد إختفت وإندثرت باختفاء المارين فيها (١) .

الآدميون يتطلَّعون عبثًا إلى قدوم الشتاء . وقد دفعهم اليأس إلى التخلّى عن استقبال المساء بإنشاد الأغاني والتراتيل ، وهو ما أغضب القمر الذى يتحكّم في الفيضان ، فإذا بوجهه وقد شحب ، وإذا هو يطلق المزيد من الأمطار التى تسببت في انتشار الإصابات بالبرد والسعال . وقد أدى هذا الطقس المتقلب إلى إضطراب نظام الفصول ، فإذا الورد القرمزى وقد كسى الصقيع أوراقه الناضرة ، وإذا جين الشتاء البارد الأجرد وقد كلتته باقة عطرة من ورد الصيف الجميل ، وكأنا من قبيل السخرية بفصول السنة . وها نحن نشهد تبادلًا بين فصول الربيع والصيف والخريف الغنى بالثمار والشتاء الغاضب في سماتها المعهودة ، حتى ما عاد البشر المذهولون بقادريين على التمييز بينها . وكل هذه الفوضى والشور إنما ترجع إلى تشاحننا ونزاعنا . فنحن الأصل فيها إذن ونحن مصدرها .

أوبيرون : لتُصلحى الأمر الإذن ، فهو في وسعك . فما الداعى إلى منازعة تيتانيا لأوبيرون ؟ ما أريد منك غير صبي مسروق ليكون حاجبا لى .

تيتانيا : ليطمئن فؤادك إلى أنى لن أتخلّى عن هذا الصبى ولا في مقابل عالم الجن بأسره . لقد كانت أمه من مُريدات طريقي ، وكثيرًا ما جلسنا سويا في الهند بالليل ، ننعّم بالهواء العَطر ، ونتجاذب أطراف الحديث ، وعلى الرمال الصفراء لشاطئ البحر ، نراقب التجار على السفن التى تمخر

(١) في كل هذا الحديث إشارة إلى المتاعب والخسائر التى واجهها الإنجليز من جراء سوء الأحوال الجوية عام ١٥٩٤ ، وهو العام الذى يحتمل أن يكون شكسبير قد كتب فيه هذه المسرحية .

(١) كورين وفيليدا : عاشقان من الرعاة في الأساطير الإغريقية .

(٢) بيريجينيا وإيجليس وأريادنا وأنتيوبيا : نساء تحدت بلوتارك في «السَّير» عن علاقة ثيسوس بهن .

عباب الماء ، ونضحك حين نرى أشرعتها كالمرأة الحامل قد انتفخ بطنها
بمعا شرتها الريح العابثة . وقد كانت في ذلك الوقت تحمل في رحمها
الغلام الذى تحدث عنه ، فكانت تسير على الرمال تقلد بمشيتها
الرشيقة حركة السفينة العائمة ، وتأتى إلى بهدايا صغيرة ثم تعود إلى
التجول ، تماما كالسفن التى تعود بعد كل رحلة ببضائع ثمينة
غير أنها للأسف ، وهى غير المخلدة ، ماتت وهى تلد ابنها ، فأليت
على نفسى أن أنهض بترية الغلام ورعايته من أجل أمه ، وآليت على
نفسى ألا أتخلى عنه .

أوبيرون : وكم تنوين البقاء في هذه الغابة ؟

تيتانيا : ربما بقيت فيها إلى ما بعد يوم زفاف ثيسبيوس . فإن كان لديك من الصبر
والعزم على الاشتراك في رقصنا ومشاهدة احتفالنا في ضوء القمر ، فهذا
معنا . وإلا فلتجتنبنى وسأتجنب بدورى أماكن تواجدك .

أوبيرون : أعطنى الغلام وسأمضى معك .

تيتانيا : لا ولو وضعت في يمينى عالم الجن بأسره . لنمض أيتها الجنّيات . . فلا
شك في أن خلافي معه سيحتدم لو أنى أطلت البقاء لبضع لحظات .

(تخرج تيتانيا وأتباعها)

أوبيرون : إذهى إذن في سبيك . . غير أنك لن تتركى هذه الأكبة قبل أن أنتقم
من إهانتك إياى هلم إلى يا صديقى بك . . . أتذكر يوماً جلسك
فيه على جبل يمتد إلى البحر ، وسمعت حورية الماء الجالسة على ظهر
الدُّلّفين تغنى أغنية رقيقة عذبة ، حتى لقد هدأت الأمواج الصاخبة
بتأثير غنائها ، وتهاوت بعض النجوم من مدارها مسرعة إليها لتسمع
إنشادها ؟

بك : أذكر ذلك .

أوبيرون : رأيت يومها كيوييد (وإن لم تتمكن أنت من رؤيته) يطير بسلاحه بين

الأرض والقمر البارد ، ويصوب سهمه صوب عذراء جميلة (١) تعلى
عرشاً من عروش الغرب ، ويطلق في رشاقة من قوسه سهم الغرام ،
وكأنها يهدف إلى إختراق مائة ألف من قلوب البشر . . غير أن سهم
الغلام كيوييد انطفأت ناره في أشعة القمر الطاهرة (٢) ، فتمكنت الملكة
التي نذرت نفسها لحياة العزوبة من أن تمضى قدماً ، غارقة في تأملات
العذارى ، وقد نجت من شرك الغرام .

غير أنى لاحظت وقتذاك أن سهم كيوييد وقع على زهرة صغيرة تنمو في
الغرب ، كانت من قبل بيضاء في لون الحليب ، ثم أضحت أرجوانية
بتأثير جراح الهوى . . العذارى يطلقن عليها اسم « حُب الكسالى » . .
إتنى بتلك الزهرة التى أريتك إياها في الماضى . . إن عصارتها متى
وُضعت على جفون النائمين تجعلهم (ذكوراً كانوا أو إناثاً) يهيمنون بحب
أول كائن حى يروونه عند إستيقاظهم . . أحضر لى هذه الزهرة ، وعُد إلى
بها بأسرع مما يقطع الحوت به فرسخاً في الماء .

بك : بوسعى أن أدور حول الأرض في أربعين دقيقة (٣) .

(يخرج)

أوبيرون : حتى إذا ما حصلت على عصاراة تلك الزهرة ، فسأنتظر فرصة رقاد تيتانيا
للنوم ، فأضع قطرات منها في عينيها . . فإن هى إستيقظت ونظرت
حولها فستقع في غرام أول كائن تراه ، سواء كان أسداً ، أو دباً ، أو ذئباً
أو ثوراً ، أو قرداً صغيراً متطفلاً ، أو قرداً كبيراً نشطاً ، وتتبعه أينما
ذهب . . إن بوسعى أن أزيل مفعول تلك العصاراة باستخدام عصاراة
زهرة أخرى ، غير أنى لن أزيله عن عينيها إلا بعد أن تتنازل لى عن

(١) يقصد الملكة إليزابيث الأولى التى رفضت كل عروض الزواج منها ، وقضت حياتها دونه . ومن
المحتمل أن تكون الملكة قد حضرت أول عرض لهذه المسرحية .

(٢) إلهة القمر ، ديانا ، هى في نفس الوقت إلهة العقّة .

(٣) تمكّن الإنسان من ذلك ، ودون لجوء إلى السحر ، بعد ثلاثمائة وسبعين عاماً من وقت كتابة
المسرحية .

غلامها . . . ولكن ، من ذا القادم هنا ؟ إننى جنى لا تدركه الأبصار ،
وبوسعى أن أبقى وأسترق السمع إلى الحديث .
(يدخل ديميتريوس تتبعه هيلينا)

ديميتريوس : أرجوك ألا تتبعينى ، فأنا لا أحبك . . أين ليساندر وهيرميا الحسناء ؟
فأما الأول فساقتله ، وأما الثانية فتقتلنى . . ذكرت لى أنهما تسلا
هارين إلى هذه الغابة . . وها أنا ذا وقد أصابتى جنة بهذه الجنة إذ قد
فشلت فى العثور على حبيبتي هيرميا . . أتركينى وشأنى ولا تتبعينى .

هيلينا : إنما أنت كحجر المغناطيس الصلْد ، تجذبني دوما إليك . غير أنك
لا تجذب الحديد ، فقلبي كالفلاذ فى صدق هواه . . تخل عن قدرتك
على اجتذابك لى ، وستتخلى عني القدرة على متابعتك .

ديميتريوس : هل أغريك ؟ هل أتودد إليك فى حديثي ؟ أم أنى أخبرك بأصرح
العبارات أنى لا أحبك ولا أستطيع أن أحبك ؟

هيلينا : غير أنك حتى بهذا تزيد من نار حبي لك التهابا . . إننى بمثابة كلبة
لك ، كلما زدت ضربا لها يا ديميتريوس ، زاد تعلقها الذليل بك .
عاملنى إذن معاملتك لكلبك : اركلنى ، اضربنى ، إهملنى ،
أضعنى ، ولكن لتأذن لى فقط ، رغم هوان شأنى ، أن أتبعك . .
فأتى محل من قلبك هو أسوأ من ذلك الذى أنا شدة أن تحلنى فيه ،
وهو أن تعاملنى معاملتك لكلبك ، وأنا مع ذلك راضية به كل الرضا .

ديميتريوس : لا تخاطرى بإثارة المزيد من كراهيتى لك ، فمجرد وقوع بصرى عليك
يؤلمنى .

هيلينا : أما أنا فيؤلمنى غيابك عن بصرى .

ديميتريوس : إنك إنما تعرضين سمعتك للضياع بمغادرتك المدينة ، ووضع نفسك
رهن إشارة رجل لا يحبك ، وتعرض شرفك الغالى لمخاطر الليل
والملك المهجور .

هيلينا : لا مخاطر تهددنى مع رجل شريف ، ولا ليل فى عيني متى رأت وجهك
عيني . لهذا فإنى لا أحسب أن الليل قد إكتفنى ، ولا أحسب هذه
الغابة بعيدة عن الدنيا أو خالية من الناس ، لأنك الدنيا بأسرها فى
عيني وكل من أريده من الناس . فكيف يمكن إذن أن يقال إنى هنا
وحدى والدنيا بأسرها هنا تنظر إلى ؟

ديميتريوس : سأعدو فراكا منك وأخفى نفسى فى الأحراش ، تاركاً إياك تحت رحمة
وحوش الغابة .

هيلينا : ما من وحش له قلب فى قساوة قلبك . . فلتمض هارباً متى شئت
حتى تنعكس الأدوار ، فإذا بأبو لو يهرب ودافنى تعدو فى أثره ، وإذا
الحمامة تطارد النسر ، وإذا الأيل الوديع يعدو لإصطياد النمر . . فما
جدوى السرعة إذن متى هربت البسالة من مطاردة الجبن ؟

ديميتريوس : لن أبقى هنا لأستمع إلى أسئلتك . . دعيني أذهب ، وإلا فصديقى
حين أقول لك إنك لو مضيت فى أثرى فسألحق بك الأذى فى هذه
الغابة .

هيلينا : إنك تلحق بى الأذى فى المعبد ، وفى المدينة ، وفى الحقل . . عار
عليك ياديميتريوس ! إذلاً لك لى يجعلنى وصمة فى جبين النساء .
فالنساء لا يملكن ما يملكه الرجال من القدرة على الدخول فى معركة
من أجل الظفر بالمحبيب وتحقيق الآمال . خلقتنا لكى يتودد الرجال
إلينا لا لكى نتودد إلى الرجال .

(يخرج ديميتريوس)

سأتبعك حتى أخلق جنة من جحيم أباه ، بأن ألقى مصرعى على يد
امرى أهواه .

(تخرج)

أوبيرون : إلى الملتقى أيتها الفتاة . وأعدك بأنه قبل أن يبرح هذه الأيكة وقبل طلوع
النهار ، سيكون هو المطارد لك وأنثى اللانذة بالفرار . .

الفصل الثانى

(يدخل بك)

مرحبًا بالجوَّال .. هل أتيتنى بالزهرة ؟

بـك : ها هى ذى .

أوييرون : أعطنى إياها .. ثمة صَفَّةٌ جدولٍ أعرفها ينبت فيها الزعرتر البرى والورود وزهر البنفسج الناعس ، وتظللهما أشجار كثيفة غنية بالريحيق ، ونباتات المسك العطرة والنسرين .. هناك تنام تيتانيا بعض ساعات الليل مفترشة الأزهار وقد أنهكها الرقص واللهو .. وهناك أيضًا تطرح الثعابين عن أجسامها جلودها زاهية الألوان ، كل منها يكفى لصنع عباءة لجنّية .. سأضع بضع قطرات من العصارة فى عينيها ، فإذا هى وقد راودتها أبشع الأوهام ...

خذ أنت أيضًا بضع قطرات معك ، وابحث فى هذه الأيكة عن سيدة أثينية حسناء تهيم بحب فتى يمقتها . ضع قطرات من العصارة على عينيه ، وتأكد من أن السيدة هى أول من يراه حين يستيقظ من نومه .. ستتعرف على الرجل من ثيابه الأثينية التى يرتديها .. ولكن لتحرص على أن يكون عند إستيقاظه أكثر هياما بها منها به . ثم فلتقابلنى قبل أول صباح للذّيكة .

بـك : ليطمئن قلب مولاي ، فسويدي خادمك كلّ ما أمرته به .

(يخرجان)

المشهد الثانى

موقع آخر بالغابة

(تدخل تيتانيا وأتباعها)

تيتانيا : والآن إلى رقصة دائرية وأغنية من أغانى الجن ، تؤدونها فى ثلث دقيقة ثم تنصرفون ، البعض ليقطل اليرقات التى تتغذى على أوراق نبات المسك ، والبعض ليحارب الخفافيش من أجل الحصول على أجنتها الجلدية حتى نصنع منها المعاطف لصغار الجن ، والبعض ليردّ عنا اليوم المزعج الذى يصوت بالليل ويراقب فى عجب لهونا وتسليتنا .. غنّوا لى الآن أغنية حتى أنام ، ثم فليمض كل إلى عمله بينما أنا قسطا من الراحة .

(الجنّيات تغنّين)

الجنّية الأولى : أيتها الثعابين مشقوقة اللسان ، أيتها الأفاعى الرقطاء ، وأنت أيتها القنافذ الشائكة ، لا تظهرى هذا المساء ،
ويا سمندل الماء ، وأنت أيتها العظاية العمياء ،
لا نريد منكم شرًّا أو فعلة خرقاء ،
وإياكم جميعا أن تقربوا مليكة الجن الحسنة .

الجميع : البلابل تشاركنا فى الغناء
حتى تنام مليكتنا الحسنة :

نَنْتَهُ هُوَ ، نَنْتَهُ هُوَ ،
نَنْتَهُ هُوَ ، نَنْتَهُ هُوَ ،

لا ضرر ولا سحر ولا تعويذة
تفسد على مولاتنا نومتها اللذيذة
فانعمي إذن بليلة سعيدة
على أنغام هذه التَّهْوِيدة .

الجنية الثانية : أيتها العناكب لا تنسجي شباكك هنا
ولا تقربى بأرجلك الطويلة مكاننا
وابتعدى أيتها الخنافس السوداء عن هذا الموقع
فنحن لا نريد أذى من حشرة أو قوقع .

الجميع : البلابل تشاركنا في الغناء
حتى تنام مليكتنا الحسنة
نَنْتَهُ هُوَ ، نَنْتَهُ هُوَ ،
نَنْتَهُ هُوَ ، نَنْتَهُ هُوَ ،
لا ضرر ولا سحر ولا تعويذة
تفسد على مولاتنا نومتها اللذيذة
فانعمي إذن بليلة سعيدة
على أنغام هذه التَّهْوِيدة .

الجنية الأولى : كل شيء على ما يرام ، فلننصرف الآن
ولتبق إحدانا لحراسة المكان .

(تخرج الجنيات وقد نامت تيتانيا)

(يدخل أوبيرون فيضع عصارة الزهرة على جفניה)

أوبيرون : أول ما تريه حين تستيقظين
ستهوينه وتعشقين

ومن لوايح حبه تتعذبن .
فسواء كان ستورا أو قطا أو فهدا

أو دُبًّا من الدببة أو قردًا
أو خنزيرًا بريًا خشن الشعر دميًا
فسترينه وقت استيقاظك حبيبا وسيما .
فلا تستيقظي إذن من نومتك
إلا وشمى بشع قبالتك .

(يخرج)

(يدخل ليساندر وهيرميا)

ليساندر : لا شك يا حبيبتي أن التجوال بالغابة قد أنك قواك . والحقيقة أنى قد
نسيت الطريق إلى المكان الذى نقصده . فلنسترح إن شئت يا هيرميا
بعض الوقت .

هيرميا : لنسترح إذن يا ليساندر . فلتبحث لنفسك عن فراش . أما عنى فسأرقد
على هذه الضفة هنا .

ليساندر : كومة من العشب تصلح وسادة واحدة لنا معا . . قلب واحد ، وفراش
واحد ، وصدران بهما حب حقيقى واحد .

هيرميا : أرجوك يا ليساندر ، من أجلى يا حبيبى ، أن ترقد على مسافة منى ليست
بهذا القرب .

ليساندر : لا تشكى يا حبيبتي فى سلامة نواياى ، فها مبعثها إلا حبنا المتبادل .
وحين يتحدث المحبون ، فكل ما يقولونه يوجهه العشق مجراه . . وما
عنيت إلا أننا وقد ارتبط قلبانا برباط الحب ، قد صار فى جوفينا قلب
واحد . صدران قد ارتبطا بعهد واحد ، فهما إذن صدران وحب حقيقى
واحد . فلا تحولى إذن بينى وبين الرقود إلى جوارك ، فالهناء يُجانبنى إن لم
أنم بجانبك .

هيرميا : جميلة تلك الألفاظ التى تأتى بها فى حديثك يا ليساندر . وما هيرميا بالتى
تفتقر إلى مشاعر الود والوفاء ، بحيث تقبل أن يُجانبك الهناء . غير أنى
أرجوك يا صديقى الرقيق ، من أجل حبنا ودواعى الحياء ، أن تختار

لرقادك مكانًا أبعد . فمثل هذا التباعد ، كما يقولون ، جدير بالعازب
الفاضل والعذراء . . . فارقد بعيدًا إذن ، وطابت ليلتك يا أعزّ صديق .
وعسى ألا يتغيّر حبّك لي ما دمت على قيد الحياة .

ليساندر : وأنا أقول « آمين » لهذا الدعاء . وعسى أن تنتهى حياتي إن خلا قلبي
من الوفاء . . . هنا إذن سيكون فراشي ، وليجلب النوم لك الراحة
بعد العناء .

هيرميا : ومنى لمن تمنّى لي الراحة نفسُ الدعاء .

(ينامان في ركنين متقابلين من المسرح)

(يدخل بك)

بك : مضيتُ أبحث في الغابة فلم أعرثر على أثني واحد أضع في عينيه
عصارة الزهرة التي تملأ القلب بالهوى . . لا شيء غير الليل
والسكون . . . من هذا ؟ إنه يرتدى ملابس الأثينيين . فهو إذن ذلك
الذي تحدث مولاي عنه وعن ازدرائه للفتاة الأثينية . . . وها هي الفتاة
تغطّ في النوم على أرض رطبة قدرة . . المسكينة لا تجرؤ على الرقاد قرب
حبيبها الذي لا يحبها ويفتقر إلى الأدب . ففى عينيك إذن أيها الرجل
النذل أضع هذه العصارة السحرية قوية المفعول . . . وإني لوائت أنك
متى استيقظت سيحول الحبُّ بين النوم وجفونك دوما بعد ذلك .
فلتستيقظ إذن بعد انصرافي من هذا المكان ، فعلى أن أقابل
أوبيرون الآن .

(يخرج)

(يدخل ديميتريوس وهيلينا تعدو في أثره)

هيلينا : توقّف يا ديميتريوس أرجوك ، واقتلني إذا شئت .

ديميتريوس : وأنا آمرك بالانصراف وألا تزعجيني .

هيلينا : وتركني وحدي في الظلام ؟ أتوسل إليك ألا تفعل .

ديميتريوس : أحذرك وأذكرك . . لتبقى هنا وسامضى وحدي .
(يخرج)

هيلينا : قد فقدتُ أنفاسي في هذه المطاردة الحمقاء . وكلما زادت توسلاتي زاد
ازورارُهُ عنى بوجهه . . ما أسعدك يا هيرميا حيثما كنت الآن ! ما
أسعدها بعينيها المباركتين الفاتنتين ! من أين لهاتين العينين بهذا
البريق ؟ لو كان بفضل ما تسكبه العينان من دموع ، فقد سكبت
عيناي من الدموع أضعاف ما سكبته عينها . . كلا . كلا . فالحقيقة
أنى في مثل دمامة الدببة . . الوحوش تفر أمامي في فزع حين
تقابلني . . فلا غرو إذن أن يحذو ديميتريوس حذو الوحوش وأن يهرب
منى . . أية مرآة خبيثة منافقة تلك التي نظرتُ فيها فجعلتني أقارن
بين عينيّ وعيني هيرميا الجميلتين ؟ . . ولكن . . من هذا الرائد هنا ؟
ليساندر ! على الأرض ! ميتا أم نائمًا ؟ لأرى أثرًا لدماء أو جراح . .
ليساندر ! إن كنت حيًا ياسيدي فاستيقظ .

ليساندر : (يهب واقفًا) بل وأخوض النار من أجلك يا هيلينا . . لقد حبّبتك
الطبيعة يا هيلينا بشفافية تتيح لي أن أرى القلب في صدرك . . أين
ديميتريوس ؟ هذا الاسم المقيت لإمرئ خليق بأن أذبحه بسيفي .

هيلينا : لا تتكلم هكذا ياليساندر ، لا تتكلم على هذا النحو . فما من
غضاضة في حبه لهرميا . (يا إلهي ! هل أقول ما من غضاضة ؟ !)
غير أن هيرميا لا تزال على حبها لك ، فاقنع بذلك .

ليساندر : ماذا ؟ أقنع بهيرميا ؟ لا يا هيلينا . إنني نادم على الوقت الممل الذي
قضيته معها . . ليست هيرميا من أحب ، وإنما أحب هيلينا . وما
أنبت بالمقارنة بها إلا كالحمامة بالمقارنة بالغراب . . إن العقل هو الذي
يوجّه لإرادة البشر ، وعقلي يوضّح لي أنك أفضل منها بكثير . وكما أن
النباتات النامية لا تُنتج ثمرًا إلا في فصل معين ، فكذلك كنت أنا ؛
فتى غريبًا لم ينضج ولم يحسن التفكير حتى إكتملت رجولته . فأما وقد

نضج العقل منى فقد أخذ بعنان إرادتى ووجهها وجهة عينيك حتى أقرأ فيها أنه مامن سعادة فى الحب إلا معك .

هيلينا : هل قضت الأقدار أيضاً أن أتعرض إلى هذه السخرية القاسية ؟ ماذا جنيت حتى أستحق منك مثل هذا التهكم ؟ ألا يكفينى أننى لم ألس أبداً ، ولن ألس أبداً ، عطفاً من ديميتريوس ، فإذا أنت تُقبل لتسخر من عجزى عن الظفر بقلبه ؟ قسماً إنك تهيننى ، أجل ، تهيننى ، بتظاهرك ساخراً بأنك تحبنى . . ولكن ، وداعاً . غير أنى أعترف بأنى كنت أحسبك فى الماضى رجلاً كريماً دمث الخلق . . ألا ما أتعس المرأة التى يرفضها من تهواه ، ثم يأتى آخر ليسخر منها لهذا السبب !
(تخرج)

ليساندر : إنها لم تر هيرميا . . فلتظلى يا هيرميا فى نومك ، ولا تقربى ليساندر بعد الآن . فكما أن الإفراط فى تناول الطعام الشهى يؤدى بنا إلى كراهة رؤيته ، وكما أن تحول المرء إلى عقيدة جديدة يجعله كارهاً للقديمة التى خدعته زمناً ، فكذا قد تحول حبى لك يا هيرميا إلى كراهية . . وسأكرس من الآن كل قوى وحبى وجهدى لهيلينا ، حتى أكون فارسها وتابعها الوفى .
(يخرج)

هيرميا : النجدة يا ليساندر ، النجدة ! ساعدنى فى التخلص من هذه الحية التى زحفت إلى صدرى . . آه ! ما أبشعه من حلم ذلك الذى رأيته ! انظر يا ليساندر كيف يرتعد جسدى فرقا . . رأيت فى منامى حية تنهش قلبى نهشاً وتسلبنى إياه ، وأنت جالس تراقبها وتبتسم ليساندر ! ألسنت هنا ؟ (تنادى) ليساندر ! سيدى ! ألا تسمع ندائى ؟ أتركت المكان ؟ لا صوت ؟ لا كلمة ؟ واضيعتى ! أين أنت ؟ كلمنى إن كنت تسمعنى . كلمنى بحق حبك إياى ! يكاد يُغشى على من الخوف . . لارء ؟ فلست أذن فى مكان قريب . فلما أن أجذك للتو أو أسلم نفسى لموت رهيب .

(تخرج)

الفصل الثالث

المشهد الأول
فى الغابة
(يدخل العمال)

بوتوم : هل اكتمل جمعنا ؟

كوينس : كل شيء على ما يرام . . هنا مكان مناسب جدًا للتمرين على أداء تمثيلتنا . . ستكون هذه البقعة الخضراء مسرحنا ، وخلف هذه الشجيرة كثيفة الأغصان غرفة ملابسنا . وسنمثلها الآن كما سنمثلها أمام الدوق .

بوتوم : بيبتركوينس !

كوينس : ماذا تريد يا صديقى بوتوم ؟

بوتوم : هناك أشياء فى هذه الكوميديا عن بيراموس وثيسبى سيستاء منها البعض . أولاً : على بيراموس أن يستل سيفاً ليقتل به نفسه ، وهو أمر لا تستسيغه النساء . فما جوابك على هذا ؟

سناوت : هذا حق . قسماً إنه لأمر مخيف .

ستارفلينج : أظن من الأفضل أن نحذف من المسرحية كل أعمال القتل .

بوتوم : كلا بكل تأكيد ، فعندى حل طيب لهذه المشكلة ، وهى أن تكتبوا لى افتتاحية ألقياها ، تقولون فيها إننا لن نؤذى بسيوفنا أحداً ، وأن بيراموس

لن يُقتل في واقع الأمر ، وإنما هو مجرد تمثيل . ولزيادة الإطمئنان ،
نخبرهم أنني - أى بيراموس - لست في الحقيقة بيراموس ، بل بوتوم
النساج . . فمن شأن هذا أن يطمئنهم ويزيل الخوف عنهم .

كوينس : حسنا ، سنكتب مثل هذه الافتتاحية في صورة قصيدة ، بيت من ثمانية
مقاطع يليه بيت من ستة مقاطع .

بوتوم : لا . أضف مقطعين ، بحيث يلي البيت من ثمانية مقاطع بيت من ثمانية
مقاطع .

سناوت : ألن ترتاع السيدات لرؤية الأسد ؟

ستارفلينج : سيرتعن بكل تأكيد .

بوتوم : أيها السادة ، فكروا جيدًا في هذا الأمر . . أن نحضر أسدًا - لا سمح
الله - إلى جُمع فيه نساء ، أمر بالغ الشناعة . فما هناك بين الدواجن
المتوحشة ما هو أشد افتراسًا من الأسد الحَيِّ . وعلينا أن نأخذ هذا في
الاعتبار .

سناوت : علينا إذن أن نكتب افتتاحية أخرى نقول فيها إنه ليس في الحقيقة أسدًا .
بوتوم : بل أكثر من ذلك . علينا أن نذكر سلفًا اسم الذى سيمثل دور الأسد ،
وعليه أن يكشف عن نصف وجهه أعلى رقبة الأسد ، وأن يتكلم هو
نفسه من داخله ويقول أشياء من هذا القليب ^(١) : « أيتها السيدات » ،
أو « أيتها السيدات الجميلات ، أريدكن أن » ، أو « أناشدكن
أن » ، أو « أتوسل إليكن ألا تخفن ولا ترتعشن . حياتي فداؤكن . فإن
كتن قد ظننتن أنى أسد حقيقى ، فإنى آسف . . كلا . لستُ
بالأسد ، وإنما أنا بشر كسائر البشر » . . وعندئذ يذكر اسمه ويخبرهن
صراحة بأنه سُنج النجار .

كوينس : وهو كذلك . لفعل ما ذكرت . . غير أن هناك صعوبتين : الأولى هي

كيفية إدخال ضوء القمر إلى القاعة . فلقاء بيراموس وثيسى كما
تعلمون يتم في ضوء القمر .

سناوت : هل يسطع القمر في الليلة التى سنقدم فيها تمثيليتنا ؟

بوتوم : أحضروا تقويًا . أحضروا تقويًا وانظروا فيه ما إذا كان القمر سيظهر في
تلك الليلة .

(يخرج كوينس تقويًا من حقيته وينظر فيه)

كوينس : نعم ، سيظهر في تلك الليلة .

بوتوم : حسنا . بوسعكم إذن أن تفتحوا جزءًا من نافذة القاعة الكبيرة التى
نمثل فيها ، ثم يسطع نور القمر من خلال هذه الفتحة .

كوينس : أو أن يدخل شخص يحمل عصيًا ^(١) وقنديلًا فيقول إنه قد أتى ليمثل
ضوء القمر . . وهناك صعوبة ثانية ، وهى ضرورة إقامة حائط في القاعة
الكبيرة . . فالقصة تقول إن بيراموس وثيسى كانا يتحادثان عبر شقٍّ في
حائط .

سناوت : لن يسمحوا أبدًا بإقامة حائط في القاعة . . ما رأيك يا بوتوم ؟

بوتوم : يقوم شخص ما بتمثيل الحائط ، وندهنه ببعض الجص أو الطين والقش
أو تخشينة الطلاء ، حتى يبدو كالحائط ، ثم يفرد أصابعه هكذا ،
ويتهامس بيراموس وثيسى من خلال انفراج الأصابع .

كوينس : إن أمكن ذلك فكل شئ إذن على ما يرام . . هيا اجلسوا جميعًا ، كل
فرد منكم ، لتتمرن على الأدوار . . لتبدأ أنت يا بيراموس حتى إذا ما
فرغت من حديثك توجهت إلى غرفة الملابس خلف الشجرة ، وكذا
فليفعل كل منكم وفقًا لدوره .

(يدخل بك)

(١) إشارة إلى الاعتقاد الشائع آنذاك بأن إنسان القمر يحمل عصيًا ويتبعه كلب .

(١) معنى : من هذا القبيل .

بك : من هؤلاء الأجلاف الذين جاءوا يختالون هنا بالقرب من فراش مليكة الجن ؟ يعدّون لتمثيل مسرحية ؟ سأجلس فأستمع ، وربما اشتركت أيضًا في التمثيل إن وجدت داعيًا إلى الاشتراك .

كوينس : لتبدأ بالحديث يا بيراموس ، وتقدّمى يا ثيسبى .

بيراموس : ثيسبى ، إن الأزهار الجميلة ذات رائحة خطيرة

كوينس : عطرة ، عطرة !

بيراموس : ذات رائحة عطرة كأنفاسك يا حبيبتي ثيسبى العزيزة . . ولكن ، ما هذا ؟ أسمع صوتًا ! انتظري هنا لحظة وسأعود إليك بعد قليل .

(يخرج)

بك : ذاك أغرب تشخيص رأيته هنا للدور بيراموس !

(يخرج)

ثيسبى : أجاؤ دورى الآن ؟

كوينس : نعم ، نعم . لتفهم أنه لم يخرج إلا لأنه سمع جلبةً ، فذهب يستطلع الخبر ثم يعود .

ثيسبى : أى بيراموس الوسيم ، يا ذا البشرة البيضاء كزهرة السوسن ، فى لون الورد البرية الحمراء على ساقها الباسقة ، أيها الفتى المقدام ، أيها اليهودى الجميل ، أصيل كأتى حصان أصيل ، لا تكّل ولا تمّل . . سأقابلك يا بيراموس عند مقبرة نينى .

كوينس : عند مقبرة نينوس يا رجل ! ولكن محل هذه الجملة هو فيما بعد عندما تجيب على سؤال بيراموس . . إنك تتلو دورك كله دفعة واحدة بالإضافة إلى الإرشادات المسرحية ! (ينادى) أدخل يا بيراموس فقد جاء دورك . كان ينبغي أن تدخل بعد جملة « لا تكّل ولا تمّل » .

ثيسبى : أصيل كأتى حصان أصيل ، لا تكّل ولا تمّل .

(يدخل بوتوم لابسا رأس جحش يتبعه بك)

بيراموس : إن كنت جيلًا يا ثيسبى فأنا ملك يديك .

كوينس : يا إلهى ! ما أبشع منظره وأغربه ! . قد سحرتنا الجن يا سادة . فلنصل ولنهرب من هذا المكان . الغوث ! الغوث !

(يلوذ العمال بالفرار)

بك : سأتبعكم وأجعلكم تضلّون الطريق . . سأقودكم عبر المستنقعات والأدغال والأجحات والأشجار ، وسأبدو فى أعينكم تارة فى صورة حصان ، وتارة فى صورة كلب ، وتارة فى صورة خنزير ، وتارة فى هيئة دب لا رأس له ، وتارة فى هيئة النار ، وسأصهل وأنبّخ وأنخر وأزار وأحترق ، صهيل الفرس ونباح الكلب ونخر الخنزير وزئير الدبة واحترق النار ، فى كل مكان تكونون فيه .

(يخرج)

بوتوم : لماذا يفرّون ؟ إنها لدناءة منهم أن يُخيفونى على هذا النحو .

(يدخل سناوت)

سناوت : آه يا بوتوم ! لقد تغيّر شكلك ! ما هذا الذى أراه قد حلّ مكان رأسك ؟

بوتوم : تسألنى ما الذى تراه ؟ ربما كنت ترى رأس الجحش الذى هو أنت !

(يخرج سناوت)

(يدخل كوينس)

كوينس : مسكين يا بوتوم يا مسكين ! لقد مسخوك .

(يخرج)

بوتوم : قد فهمتُ قصدهم الخبيث . . يظنوننى حمارًا ويريدون إخافتى إن أمكنهم ذلك . غير أنى لن أترجّح عن هذه البقعة مهما فعلوا . سأتمشى هنا جيئةً وذهابًا ، وسأغنى حتى يسمعونى ويفهموا أنى غير خائف :

طائر الشُخُور ، أسود الريش

بمنقاره بديع الألوان ،

والصَّغُور الصغير ، بريشه القصير

وطائر الدُّجَّ عذب الألحان

تيتانيا : أئى ملاك هذا الذى يوقظنى ويدعونى إلى القيام من فراشى الوردى ؟

بوتوم : العصفور وطائر الدُّورى والقُبَّرة

وطائر الوقواق الرمادى بسيط الأنغام

بأغانيه التى يسمعها الأنام

دون أن يجرؤوا على الاعتراض

صحيح . إذ من الذى بلغ به الغباء حدّ الدخول فى جدل مع طائر غبى

كالوقواق ؟ ومن بوسعه أن يكذب طائرًا ولو ظل ساعاتٍ يردّد صيحته

«كوكو .. كوكو» ؟ (١)

تيتانيا : أتوسّل إليك أيها الكائن الفانى الرقيق أن تغنى مرة أخرى . فصوتك

يفتنى كما تفتنى هيئتك الجميلة . وقد سحرنى جمالك لدرجة أنى صرت

مضطرة إلى أن أبوح وأقسم لك أنى قد وقعت فى غرامك من أول نظرة

إليك .

بوتوم : إن كان غرامًا يا سيدتى فاسمحي لى أن أسالك عن دواعيه . . ومع ذلك

فالواجب أن أعترف بأن العقل والحب نادرا ما يجتمعان فى هذه الأيام .

إنه لمن المؤسف أن نرى أناسًا عقلاء يهجرون الحكمة عند اختيار من

يجوبون . . ومع ذلك فبوسعى أن أكون خفيف الظل وقتما يحلو ذلك لى .

تيتانيا : إنك حكيم بقدر ما أنت جميل .

بوتوم : لا هذا ولا ذاك . ومع ذلك فإن كان لى عقل يهدينى سبيل الخروج من

هذه الغابة فسأكون مدينًا له بهذا .

(١) هنا تلاعب بلفظتى Cuckoo (الوقواق) ، Cuckold (الدُّيوت ، أو زوج المرأة الزانية) .

والاعتراض هنا (أو التكذيب) يعنى نفى المستمع إلى إنشاد الوقواق عن نفسه صفة الدُّيوت .

تيتانيا : فلتنس فكرة الخروج من هذه الغابة . فأنت باقى هنا أردت ذلك أم

لم ترد . . إننى كائن غير عادى ، له وزنه وهيبته ، وفى مقدورى أن

أتحكم كما أشاء فى جو الصيف . . وإذ أنى أحببك فلتذهب

معى ، وسأجعل من الجن خدمًا لك ، يأتون لك بالجواهر من

أعماق البحار ، ويغنّون لك وأنت راقد للنوم فوق الأزهار

وسأخلّصك من كل شوائب البشر حتى تصبح جنيًا كسائر

الجن . (تنادى) زهر البسلة ، نسج العنكبوت ، وعثة ، حب

الخردل !

(يدخل زهر البسلة ونسج العنكبوت ، وعثة ، وحب الخردل)

زهر البسلة : جاهز !

نسج العنكبوت : وأنا .

عثّة : وأنا .

حب الخردل : وأنا .

الجميع : إلى أين نمضى ؟

تيتانيا : أحيطوا هذا السيد بمظاهر الحفاوة والتكريم . إخرجلوا أمامه فى

الطريق ، وسلّوه برقصاتكم . . أطعموه من الشمس والتوت ،

والعنب الأرجوانى والتين الأخضر والغُلّيق . . إسرقوا أقراص

العسل من النحل الطنّان ، وجردّوا أرجله من الشمع لإستخدامه

فى الإنارة فى المساء ، وأشعلوا الشمع من الأعين النارية لحشرة

سراج الليل ، حين يتوجه حبيى إلى فراشه للنوم وحين يستيقظ .

وانزعوا من الفراشات الملوّنة أجنحتها ، واصنعوا منها ما يحجب

أشعة القمر عن عينيه حين ينام . إنحنوا له أيها الجن وأدّوا

واجباتكم نحوه .

زهر البسلة : تحية لك أيها الإنسان الفانى !

نسج العنكبوت : تحية لك !

عُـــــــه : تحية لك !

حب الخردل : تحية لك !

بوتــــوم : شكرًا لحضراتكم من كل قلبي . . إنذن لي سماحتك بالسؤال عن إسمك .

نسج العنكبوت : نسج العنكبوت .

بوتــــوم : أمل أن تنمو معرفتي بك بمضى الوقت يا سيد نسج العنكبوت .
فإن جُرح إصبعي في يوم ما فقد أستخدمك في تضميده (١) .

وما إسمك أيها السيد المفضل ؟

زهر البسلة : زهر البسلة .

بوتــــوم : تحياتي الحارة لوالدتك السيدة مهروسة ، ولوالدك السيد قرن البسلة . وأمل أن تنمو معرفتي بك بمضى الوقت يا سيد زهر البسلة . وأنت يا سيدى الكريم ، ما إسمك ؟

حب الخردل : حب الخردل .

بوتــــوم : سمعت الكثير عن صبرك وقوة إحتمالك يا سيد حب الخردل .
كما سمعت عن التهام الناس للكثيرين من أقربائك أثناء تناولهم اللحم المشوى . وإسمح لي أن أخبرك أنه كثيرًا ما تسبب بعض أفراد أسرتك في امتلاء عيني بالدموع (٢) . . أمل أن تنمو معرفتي بك بمضى الوقت يا سيد حب الخردل .

(١) كان نسج العنكبوت يستخدم أحيانًا في صنع الضاد لوقف نزف الدم من الجروح .

(٢) إشارة إلى استخدام الخردل (الموستردة) مع أكل اللحم ، وإلى تسبب طعمه ورائحته أحيانًا في إثارة الدُّمَع .

تيتانيــــا : لتخدموه إذن ، ولتمضوا به الآن إلى جناحي الخاص . . يخيّل لي
أن عيني القمر مُغرورقتان بالدموع . وحين ييكى القمر ،
تبكى معه كل زهرة صغيرة ، وكأنها تأسف لانتهاك الطلّ
عفتها (١) . . هيا . واربطوا لحبيبي لسانه حتى يمضى معكم
وهو صامت (٢) .

(يخرجون)

(١) إلهة القمر في الأساطير الإغريقية هي إلهة العفة . وكان ثمة اعتقاد أن القمر - حين ييكى -
يتسبب في الطلّ الذى يكسو الأزهار « فينتهك عفتها » .

(٢) للحيلولة بينه وبين النهيق في غابة أوبيرون .

المشهد الثاني

فى الغابة

(يدخل أويرون)

أويرون : ليت شعرى هل إستيقظت تيتانيا ؟ وما أول شىء وقعت عيناها عليه عند إستيقاظها عما قُدر لها أن تهيم به وتعشقه كل العشق ؟

(يدخل بك)

ها هو رسولى قد جاء . ما الأخبار أيها الجنى المجنون ؟ وأية حيل خبيثة تخطط الآن لها فى هذه الأيكة المسحورة ؟

بك : سيدتى قد وقعت فى غرام وحش من الوحوش ، قرب تغريشتها السرية المقدسة . إذ بينما هى غارقة فى نومها العميق ، أتت جماعة من الصنائع الأجلاف الحمقى ممن يكسبون عيشهم فى حوانيت أثينا ، واجتمعوا ليمتنروا على تمثيلية سيؤدونها يوم غرس ثيسوس العظيم . . فاما أكثر هذه الجماعة الحمقاء حماقة وسطحية ، وهو الذى سيلعب دور بيراموس فى تمثيليتهم ، فقد حدث أن ترك مكان التمثيل ودلف خلف أجمة ، فانتهزت الفرصة وألبسته رأس جحش . وقد كان عليه وقتها أن يرد على حديث حبيبته ثيسى ، فعاد الممثل إلى مكانه . فإنا أن وقعت أعينهم عليه حتى ولّوا هاربين ، فرار الأوز البرى حين يرى الصائد يزحف فى اتجاهه ، أو فرار الغربان السوداء حين تسمع طلقه بندقيته ،

فتتفرق طائفة فى الفضاء كالمجنونة فى كل اتجاه . وإذ أقبل الجن يهزون الأرض من تحتهم ، سقط البعض فوق البعض وهم يصيحون «إنهم يقتلوننا ! ويصرخون طالبين النجدة من أثينا . وقد أفقدهم الخوف مداركهم حتى ما عادوا يحسون بأشواك أغصان الشجر وهى تحزهم وتوذى أبدانهم وتمزق ملابسهم ، وتنزع عن بعضهم أكمامهم وعن البعض قبعاتهم ، وعن كل فرد منهم شيئاً مما يرتديه . وقد قُدت مسيرتهم فى الغابة وهم على هذه الحالة من الخوف والذهول ، تاركاً بيراموس الرقيق ممسوحاً فى موقعه ، فى نفس اللحظة التى استيقظت فيها تيتانيا ، فإذا هى من فورها تقع فى غرام الجحش .

أويرون : هذا أفضل مما كان بوسعى أن أدبره . ولكن ، هل وضعت عصاة الحب فى عيني الفتى الأثينى كما أمرتك ؟

بك : وهذا أيضاً قد فرغته منه . . رأيته نائماً والمرأة الأثينية بالقرب منه ، بحيث لن يملك إلا أن يراها عند استيقاظه .

(تدخل هيرميا وديميتريوس)

أويرون : لنسترق السمع سراً إليهما . . هو نفس الفتى الأثينى .

بك : هى نفس المرأة الأثينية ، غير أن الرجل غير الذى رأيته .

(يتحيان جانبا)

ديميتريوس : لماذا تعتقن من يحبك كل هذا الحب ؟ هو تعنيف أَوَّلَى أن يوجه إلى الدّ الأعداء لا إلى أصدق المحبين .

هيرميا : إن كنتُ أعفك الآن فإنك تستحق منى ما هو أسوأ من مجرد التعنيف . ذلك أنك إنما تدفعنى إلى أن أصبّ عليك جام لعناتى . فإن كنت قد قتلت ليساندر أثناء نومه ، ولطّخت يدك بدمه ، فهيا لطّخ يدك الأخرى بدمى أنا أيضاً . . ألا إن الشمس ليست بأشدّ إخلاصاً للنهار منه لى . أفيعقل أن يكون قد تسلّل هاربا مخلّفاً إيناي فى نومى ؟

ما أحسبني سأصدق هذا حتى أصدق أن القمر قد اخترق الكرة الأرضية وجاوز مركزها حتى أغضب شمس الظهيرة التي تسطع على الجانب الآخر من العالم . . لا . . لابد أنك قد قتلتها ، فلك مظهر القاتل الشرس الذي يُنزل الموت بالأحياء .

ديميتريوس : بل لي مظهر القاتل لا مظهر القاتل وقد أصابتنى قساوئك بطعنة نافذة في قلبي . أما أنت ، فرغم أنك قاتلتى فإنك تتلألئين وتتألقين تألق كوكب الزهرة هناك في السماء الصافية .

هيرميا : ما شأن حديثك هذا بليساندر ؟ أين هو ؟ هل بوسعك أى ديميتريوس الطيب أن تردّه إلى ؟

ديميتريوس : أفضل أن ألقى بجثته إلى الكلاب على أن أردّه إليك .

هيرميا : إليك عنى إذن أيها الكلب فإنك تخرجنى عن طورى وعن حدود صبر العذراء . هل قتلتها إذن ؟ لو كنت قد فعلتها لما أمكن اعتبارك من اليوم في عداد البشر . . قل الصدق ولو مرة واحدة . قل الصدق ولو بحياتى عندك . إنك ما كنت لتجرؤ على النظر إليه وهو في يقظته ؛ فهل قتلتها إذن وهو نائم ؟ ألا ما أشجعك ! أتيت بفعلة تجرؤ عليها الحشرة والأفعى . . وقد ارتكبتها بالفعل أفعى . فما من أفعى مزدوجة اللسان لها من عضّة قوية كعضّتك أيها الثعبان !

ديميتريوس : إنما تصيّن على جام غضبك شدى من أجل وهم خاطئ . فأنا برىء من دم ليساندر ، وهو على حدّ علمى حتى يُرزق .

هيرميا : فلتطمئننى إذن على أنه بخير ، أرجوك .

ديميتريوس : وما جزائى على هذا إن فعلت ؟

هيرميا : ستكون مكافأتك ألا ترانى بعد اليوم . وها أنا أرحل عن طلعتك المقيّمة ، فلا تحاول رؤيتى مرة أخرى حيّا كان ليساندر أو ميتا .

(تخرج)

ديميتريوس : لا جدوى من المضى في إثرها وهى في مثل هذا المزاج الغاضب . . وسأبقى هنا إذن بعض الوقت . . إن الحزن لتشدّ وطأته مع حدّة إفتقارنا إلى النوم . فلا حاول أن أخفّف بعض الشيء منه بأن أرقد هنا في طلب النعاس .

(يرقد على الأرض)

أوبيرون : ويلى عليك ، ما الذى فعلته ؟! لقد أخطأت أفدح الخطأ فوضعت عصارة الحب في عين عاشق وفتى ، مما سيجعله يهجر حبيبته ، بدلاً من أن تضعها في عين فتى آخر حتى يقع في غرام من كان يكرهها .

بيك : وهذه هى سُنّة الحياة والأقدار : فمقابل إنسان واحد وفتى في حبّه ، نجد مليوناً ينكثون عهود الوفاء التي قطعوها على أنفسهم .

أوبيرون : فلتمض إلى الغابة بأسرع من سرعة الريح باحثاً عن هيلينا الأثينية التي أسقمها الغرام وذهب بحمرة خديها ، وملأ صدرها بالتنهّات التي تسلب العروق دمها . . لتلجأ إلى حيلة تقودها بها إلى هذا المكان ، فتسحر عينيه حتى يقع في غرامها حينها يراها .

بيك : سامضى لتوى . . سامضى لتوى . انظر ! ها أنا ذا أمضى بأسرع من السهم المنطلق من قوس التترى .

(يخرج)

(أوبيرون يضع قطرات من العصارة على جفنى ديميتريوس)

أوبيرون : أيتها الزهرة في لونها الأرجوانى

ليكن لك مفعول سهم كيوييد النارى .

لتمض عصارئك إلى مقلتيه

وحين ينظر إلى الحبيبة بعينه

فلتبدّ له في أبهى الصور وأحلاها

وكانها هى كوكب الزهرة في علّاه .

فإن كانت إلى جانبك عند قيامك
فتوسل إليها أن تُشفيك من لوعة غرامك .
(يدخل بك)

بك : أئى سىدى وسيد مملكة الجان

ها هى هيلينا تقترب من هذا المكان
وعلى أثرها يأتى الفتى الذى خُدِعَتْ فيه
يطلب حبها ويشتهي .

فهلأ استمعنا إلى ما يقوله الأحقان ؟

آه يا سيدى ! ما أشد حماقة الإنسان !

أوبيرون : تَنَحَّ جانبًا . فالجلبة التى سيحدثها الفتى مع فتاته
كفيلة بأن توقف ديميتريوس من سباته .

بك : سيكون ثمة إذن رجلان فى طلب سيّدة ؛
وهى لعمري تسلية جيّدة .

فما من شئ يبهجنى على هذه البسيطة ،
قدر ما تبهجنى المواقف العبيطة !

(يخرجان)

(يدخل ليساندر وهيلينا)

ليساندر : ما الذى يجعلك تعتقدين أننى أسخر منك إذ أعبر عن حبي لك ؟ إن
السخرية والاستهزاء لا يجتمعان أبدًا مع دموع العين . وها أنا ذا أبكى
إذ أصرّح لك بهوى . وإنه لهُوى صادق ذلك الذى يعبر عن نفسه مع
إمتلاء العينين بالدموع . فكيف يمكن إذن أن تحسبى هازئا بك وفى
عينى ما يشهد على صدق مشاعرى ؟

هيلينا : ها أنت تتهاذى فى سخريتك أكثر فأكثر . . فأية أغراض خبيثة تلك
التى يستهدفها « الصدق » حين تنسخ عهود وفائك لى عهود وفائك

لهيرميا ؟ أفى نيتك أن تهجرها ؟ إنك إن وزنت عهودك لها بعهودك لى لما
رجحت كفةً فى الميزان . فعهودك لكلينا إذن محض هراء ومحض إفك
وبهتان .

ليساندر : لم أكن فى وعى حين أقسمتُ لها أنى أهواها .

هيلينا : ولا أنت فى وعيك الآن إذ تقرر أن تنساها .

ليساندر : ديميتريوس لا يحبك ولا يريد سواها .

(ديميتريوس يستيقظ من نومه)

ديميتريوس : هيلينا ! أيتها الإلهة ، أيتها الحورية ، أيتها الفتاة الكاملة ، أيتها الفتاة
الإلهية ، حبيبتي ، بماذا عسأى أن أقارن عينيك ؟ البلور يبدو فى لون
الطوى إن قورن بصفائهما . . وما أنضج شفتاك الشبيهة قُبْلَتُها بقبلة
حبتين من الكرز ! وحين أقارن بياض يدك بالثلوج البيضاء النقية على
قمم جبال طوروس الشاهقة التى تغشاها رياح الشرق ، تبدو تلك
الثلوج فى لون الغراب ! فليؤذن لى بتقيل هذه الأميرة ناصعة البياض
النقية ، حتى أضمن لنفسى سعادة أبدية .

هيلينا : كل هذا البؤس وهذا الجحيم ! أراكما قد إتحدتما منى هدفًا لسخريتكما .
ولو أنكما مهذبان تلتزمان حدود الأدب واللياقة ، لما رضىتما أن تؤذيانى
كل هذا الإيذاء . ألا يكفيكما أن تكرهانى - وأنا أعلم أنكما تكرهانى -
فأبيتما إلا أن توحداه جهودكما للإستهزاء بى ؟ لو أنكما حقًا رجلان كما
يوحى مظهركما بذلك لما عاملتما فتاة كريمة الأصل هذه المعاملة .
تعاهدان وتقسمان وتبالغان فى وصف محاسنى وأنا أعلم تمامًا أنكما
تكرهانى من صميم قلوبكما . . إنكما تتنافسان على حب هيرميا ،
وتنافسان الآن على السخرية بهيلينا . فما أروع من دور خليف بالرجال
أن تثيرا الدمع فى عيني فتاة مسكينة بسخريتكما ! دعانى أخبركما أنه ما
من فتى نبيل يقبل أن يهين عذراء ويُفقد المسكينة صبرها لمجرد أن
يضحك ويسلى نفسه .

ليساندر : إنها لقسوة منك يا ديميتريوس ، فلتكفّ عن هذا العبث . فأنا أعلم أنك تحب هيرميا ، وأنت تعلم أنى أعلم هذا . وها أنا أعلن هنا بمحض إرادتى ومن صميم قلبى أنى أتخلى لك عن حبّ هيرميا . فلتتخلّ أنت لى عن حب هيلينا التى أهواها وسأظل أهواها طوال عمرى .

هيلينا : ما أحسب مستهزئين قد بلغوا فى إستهزائهم هذا الحد !

ديميتريوس : لنحتفظ بهيرميا ياليساندر ، فلا رغبة لى فيها . فإن كنت أحببته فى وقت من الأوقات فقد ولى هذا الحب ومضى . وما هويتها إلا لفترة قصيرة عدت بعدها إلى هيلينا ، شأن الإقامة العابرة لمسافرٍ فى فندق ، يعود بعدها ليقيم دوما فى داره .

ليساندر : لا تصدّقه يا هيلينا .

ديميتريوس : لا تهزأ بوفاء لا تعرفه وإلا دفعت ثمنًا غاليًا فيه . . انظر ! ها هى حبيبتك قد أقبلت . ها هى معشوقتك .

(تدخل هيرميا)

هيرميا : إن ظلمة الليل التى تحول بين عيني وبين الرؤية ، تزيد من رهافة سمعى وتشحذه . فهى إذ تسلب حاسة البصر قواها ، تضاعف من قوة حاسة السمع . . لقد عثرتُ عليك يا ليساندر ، لا بفضل عيني ، ولكن بفضل أذنى اللتين إهتديت بهما إلى مكانك . ولكن ، خبّرنى ، كيف سمح لك قلبك بأن تتركنى على هذا النحو ؟

ليساندر : ولماذا يبقى من يدفعه الحب إلى الانصراف ؟

هيرميا : وأيّ حب ذاك الذى دفع ليساندر إلى مغادرتى ؟

ليساندر : الحب الذى دفعنى إلى الانصراف هو حبى لهيلينا ، تلك التى تنير الليل بأكثر مما تنيره النجوم والشهب . لماذا تأتين فى أثرى ؟ ألم يكن ذلك كافيًا حتى تعلمى أن كراهيتى لك هى التى دفعتنى إلى الانصراف عنك ؟

هيرميا : لا أظنك تقول ما تعتقده ، فهذا محال .

هيلينا : إنها شريك لهما فى المؤامرة . نعم . أرى الآن أن ثلاثهم قد اتفقوا فيما بينهم على أداء هذه التمثيلية للسخرية بى . . أئى هيرميا الشريرة ، أنت أيتها الفتاة الجاحدة ، هل تأمرت معها كى تهزءوا بى بهذه الحيلة السخيفة ؟ هل ضاعت سدى عهد الأخوة التى قطعناها على أنفسنا ، وتبادلنا للأسرار ، والساعات الطوال التى كنا نقضيها معًا ثم نلعن بعدها إضطرارنا إلى الافتراق ؟ هل نسيت كل هذا ؟ نسيت صداقتنا أيام الدرس وبراءة الطفولة ؟

لقد كنا يا هيرميا نجلس كإلهتين حاذقتين ننسج معًا بإبرنا صورة زهرة واحدة على قماش واحد ، جالستين على وسادة واحدة ، مترنمتين فى توافق بأغنية واحدة ، وكأننا إتحدت يدانا وجانبانا وصوتانا وعقلانا فى كيان واحد . . وكذا شينا معًا ، كثمرة الكرز الجميلة المزدوجة ؛ تبدو إثنين وما هما إلا اثنتان فى واحدة ؛ لها ساق واحدة ، وفى جوفها بذرة واحدة ، وإن خيل أن لها جسمين . كنا كشعار الفارس النبيل ، عليه صورة من شطرين تجمعهما شارة واحدة ، وهما فى ملك إنسان واحد . فهل تضحيّ بحبنا القديم هذا من أجل مشاركة الرجلين فى إزدرائهم بصديقتك المسكينة ؟ ليس هذا عُرف الصداقة ، ولا عُرف العذارى . وبوسعى كما بوسع بنات جنسنا جميعًا أن نؤاخذك على ما تفعلين ، وإن كنت أنا وحدى من يشعر بالمهانة .

هيرميا : كلماتك الغاضبة قد أصابتنى بالذهول . . إننى لا أهزأ بك . بل أغلب ظنى أنك أنت التى تهزئين بى .

هيلينا : ألسنت أنت التى حرّضت ليساندر على السخرية بى ، فإذا هو يتبعنى ليشيد بمفاتيح عينيّ ووجهى ؟ ألسنت أنت التى دفعت حبيبك الآخر ديميتريوس الذى كان يركلنى بقدمه منذ ساعات إلى أن يدعونى بالإلهة والحورية والإلهية والنادرة والنفيسة والساوية ؟ إذ كيف يتحدث على هذا النحو إلى من يكرهه ؟ ولماذا ينكر ليساندر حبّه لك ، وهو

الذى يملأ قلبه ، ويشتى حبه وهواه ، إلا برضائك وبتحريضك إياه؟
فإن كنتُ أقلَّ حظًا من الجمال منك ، ولستُ مثلك محبوبًا من الجميع
هنيئة العيش ، فماذا نبى في ذلك وأنا التعسة التى تهوى من لا يهواها ؟
أليس هذا أجدر بأن يثير شفقتك دون سخريتك ؟

هيرميا : أنا لا أفهم ما تعنين بهذا القول .

هيلينا : فافهمي إذن ! واصلى دعابتك وارسمى على وجهك علامات الحزن
والأسى ، وأخرجي لى لسانك حين أدير ظهري ، وتبادلوا فيما بينكم
الغمزات ، واستمروا فى لهوكم الذى أحكمتم تدبيره ويصلح مادة
لقصة طريفة تروونها فيما بعد . ولو كان لديكم إحساس الشفقة أو
أدبٌ وحسنُ سلوكٍ لما جعلتموني مادة لسخريتكم . . ولكن وداعًا .
فأنا مسئولة إلى حدٍّ ما عما دهانى ، ولن يريحنى منكم غير العزلة أو
الموت العاجل .

ليساندر : بل ابقى يا هيلينا الرقيقة واسمعى عذرى . أى هيلينا الجميلة أى
حبي وحياتى وروحي !

هيلينا : رائع !

هيرميا : كفاك سخرية بها يا حبيبي .

ديميترىوس : إن لم يكن توصلها إليه كافيًا فبوسعى أن أجبره .

ليساندر : ليس بوسعك أن تجربنى على شيء لا تحققه توسلاتها . فتهديداتك
ليست بأقوى من تضرعها الواهن . . هيلينا ، إنى أحبك . قسما
بحياتى أحبك ، بحياتى التى سافقدها الآن من أجلك لإثبات كذبه
إذ يزعم أنى لا أحبك .

ديميترىوس : وأنا أقول إنى أحبك حبًا هو أكبر مما سيكون بوسعه أن يمنحك إياه .

ليساندر : إن كان هذا قولك فهيا إلى المباراة حتى تثبت صدقك .

ديميترىوس : على الفور . . هيا .

هيرميا : ما معنى هذا ياليساندر ؟ (تتعلق به) .

ليساندر : إليك عنى أيتها الزنجية (١) !

ديميترىوس : حسنًا إذن يا سيدى ! تظاهر بأنك تحاول عبثًا الإفلات من قبضتها ،
وأنت تريد الخروج معى إلى المباراة ولكنك لا تستطيع ! إليك عنى إذن
فأنت امرؤ جبان !

ليساندر : إليك عنى أيتها الهرة ، أيتها النبتة الشائكة ! دعيني أيتها الحقيرة وإلا
نحيثك عنى بالقوة كما أنحى الأفعى عن جسدى !

هيرميا : ما هذه الوقاحة المفاجئة منك يا حبيبي ؟ وأى تقلب هذا الذى طرأ
عليك ؟

ليساندر : حبيبيك ؟! أغربى عن وجهى أيتها التتريه السمراء ، أيتها الجرعة من
الدواء كربه المذاق . . أغربى عن وجهى !

هيرميا : أتمزح ياليساندر ؟

هيلينا : أجل هو يمزح ، وأنت أيضًا تمزحين .

ليساندر : سأق بوعدى يا ديميترىوس وأبارزك .

ديميترىوس : أريد توقيعك على هذا الكلام ، فإنى لا أثق فى وعد منك وأنا أرى
مخلوقة ضعيفة تحول بينك وبين الذهاب .

ليساندر : ماذا تريدنى أن أفعل ؟ أؤذيها أم أضربها أم أقتلها ؟ لا . فرغم أنى
أمقتها فلن ألحق بها أذى .

هيرميا : أهنالك أذى أكبر من كراهيتك لى ؟ تمقتنى ؟ لماذا ؟ وأسفاه ! ما الذى
حدث يا حبيبي ؟ ألسنتُ هيرميا ؟ ألسنتُ ليساندر ؟ إن جمالى هو كما
كان منذ ساعات . وكنت تهوانى فى الليلة الماضية ثم تركتنى . .
أفيمكن أن تكون - لا سمح الله - قد تركتنى عامدًا ، وعن قصد ؟

(١) فى الاصل : الإثيوبية ؛ إشارة إلى لون بشرتها الأسمر . وكانت سمرة الوجه فى النساء مكروهة فى
إنجلترا فى زمن شكسبير .

ليساندر : أقسم أنى تركتك عامداً وعن قصد وعن رغبة فى ألا أرى وجهك بعد الآن . فلتتخلى إذن عن كل أمل وكل تساؤل وكل شك . تأكدى من صدق ما أقول ومن أنى لا أمزح ، ومن أنى أحب هيلينا وأمقتك .

هيرميا : وبلى عليك أيتها المخادعة ! إنك لكالدودة آكلة الورد ، وسارقة الهوى . هل تسللت إليه ليلاً فسلبت قلب حبيبى منه ؟

هيلينا : إنك حقاً رائعة ! أما عندك من حياء أو خَفَر أو خجل ؟ أتريدن أن تضطرى لسانى العفيف أن يمطرك بالسباب ؟ أسفى عليك أيتها الدمية الزائفة !

هيرميا : دُمية ؟ أجل ، أجل ، هكذا تمضى اللعبة إذن ! قد فهمتُ الآن . لقد قارنت بين قامتها وقامتى ، واستغلّت طول قامتها وسُمُوق عُودها فى إغرائه وغوايته . فهل ارتفع قَدْرُكَ عنده لأنى قزمة قصيرة القامة ؟ وما مبلغ قصرى أيتها السارية الطويلة الملطّخة بالأصباغ ؟ ما مبلغ قصرى ؟ غير أنى لستُ من القصر بحيث أعجز عن الوصول إلى عينيك بأظافرى .

هيلينا : أرجوكم أياها السيدان - رغم سخريتكما بى - أن تمنعاهما من إيذاى . فما كنتُ يوماً بالمتوحشة ولا بالمتمرّسة فى الشجار والعراك ، وما أنا إلا فتاة جبانة شأن معظم الفتيات . فلا تدعاهما تضربنى ، ولا تحسبا أنى ندّها لقصر قامتها وطولى .

هيرميا : ها هى تشير مرة أخرى إلى قصر قامتى .

هيلينا : أى هيرميا لا تغضبى هكذا منى . لقد أحببتك دائماً يا هيرميا ، وكنت أصون سرّك ولم أؤذيك قط ، إلا حين إضطرنى حبى لديميتريوس إلى إفشاء خبر فرارك إلى الغابة إليه . وقد دفعه حبه لك إلى إقتفاء أثرى ، ودفعنى حبى له إلى اقتفاء أثره . غير أنه وبخنى وهدّنى إن لم أتركه بالضرب والركل بل وبالموت أيضاً . فإن أنتم تركتمونى أنصرف فى سلام عدتُ بخييتى إلى أثينا وهجرت محاولة اللحاق بكم . دعونى أذهب ، خاصة وقد أدركتم مدى سذاجتى وحمافتى .

هيرميا : إنصرفى إذن ، هيا . من ذا الذى يمنعك ؟

هيلينا : قلبُ أحمق أخلفه هنا ورائى .

هيرميا : تخلفينه مع ليساندر ؟

هيلينا : بل مع ديميتريوس .

ليساندر : لا تخشى شيئاً يا هيلينا ، فلن أَدْعُها تؤذيك .

ديميتريوس : قسماً لن تؤذيها رغم إنحيازك إلى جانبها .

هيلينا : إنها لتغدو عند الغضب كالوحش الكاسر . وكذا كانت حدّة مزاجها فى أيام الدراسة . فهى دائماً كالحَيوان المفترس رغم قصر قامتها .

هيرميا : تعودين إلى ذكر قصر قامتى ؟ لا صفة فى غير قصر قامتى ؟ هل ستركانها تهيننى على هذا النحو ؟ دعانى وإيّاها .

ليساندر : بل فلتذهبى أنت أيتها القزمة الضئيلة الهزيلة متوقّفة النمو !

ديميتريوس : إنك لشديد الإهتمام بأمر من لا يعنيه أمرُك . أترك هيلينا وشأنها ولا تذكر اسمها ولا تقف إلى جانبها . . وأقسم أنك لو نطقت بكلمة واحدة تعبر بها عن حبك لها فستدفعن ثمن ذلك . (يجرّد سيفه من غمده) .

ليساندر : هى لا تحول الآن بينى وبين مبارزتك . (يجرّد سيفه هو الآخر) .

فلتتبعنى إذا جرّؤت حتى نرى أيّنا أحمق بالظفر بها . (يخرج)

ديميتريوس : أتبعك ؟ بل سأمضى معك جنباً إلى جنب .

(يخرج ديميتريوس فى أثره)

هيرميا : أنت السبب أيتها الفتاة فى كل ما حدث . . قفى ! لا تتراجعى !

هيلينا : لا آمن على نفسى منك ، ولن أمكث أطول من هذا فى صحبتك اللعينة . يداك أقوى من يداى عند الشجار ، غير أن طول ساقى سيعيننى على الفرار . (تخرج)

هيرميا : إني مذهولة لا أدري ما أقول .

(تخرج هيرميا في أثر هيلينا)

(يدخل أوبيرون وبك)

أوبيرون : كل هذا نتيجة إهمالك . . إما أنك قد أخطأت أو أنك تتعمد القيام بهذه الحيل الخبيثة .

بـك : صدقني أي ملك الجان حين أقول إنه مجرد خطأ وقعت فيه . ألم تقل لي إني سأتعرف على الرجل من ثيابه الأثينية ؟ فأنا برىء إذن إذ وضعت العصاة في عيني فتى أثيني . غير أني مع ذلك سعيد أن أرى الأمور وقد اتخذت مجراها هذا ، وأن أجد في شجارهم فيما بينهم تسليية عظيمة .

أوبيرون : الفتيان العاشقان ، كما ترى ، يبحثان عن مكان يتبارزان فيه . . فهيا أسرع إذن يا رويين ، فزد من حلقة الليل البهيم ، وغط نجوم السماء بضباب كثيف في سواد الحجيم ، واجعل المتناقسين الحانقين يضلان الطريق ، فلا يلتقي أحدهما بالآخر وجها لوجه . فليتقمص لسائك حيناً صوت ليساندر ، فتثير بسخريتك نائرة ديميتريوس ، ثم فليتقمص صوت ديميتريوس فتثير نائرة لساندر ، ثم فلتبعد كلا منهما عن موقع الآخر حتى يغشاهما نوم كالموت ، فيغلّفهما بجناحي الحفاش ويطأ جفونها بقدميه الثقيلتين . . ثم فلتضع عصاة هذا النبات في عين ليساندر ، وهى القادرة على إزالة أثر الخطأ الذى ارتكب وإعادة مُقلّتيه إلى حالهما القديم . وحين يستيقظون من نومهم سيحسبون كل ما حدث من الشجارات مناما وأصغاث أحلام . عندئذ يعود العشاق إلى أثينا وقد ربطت بينهم أواصر تبقى قائمة معهم حتى الموت . . وفي أثناء قيامك أنت بهذه المهمة التى كلفتك بها ، سأنتوجه أنا إلى ملكتي أسأله أن تعطيني غلامها الهندي ، وأحرّر عينيها من ربة عشق ذلك الوحش القبيح ، فتعود بذلك كل الأمور إلى نصابها الصحيح .

بـك : ولابد من الإسراع بكل هذا يا مولاي الجتنى ، حيث أن ظلمات الليل تتراجع سريعاً وتنحسر ، وأشعة الصباح على وشك الظهور ، فتضطر الأشباح الهائمة هنا وهناك إلى التقهقر والعودة إلى مدافن الكنائس . وقد آبت بالفعل إلى قبورها المليئة بالذود كل الأرواح الملعونة المدفونة عند تقاطع الطرق أو في أعماق البحار^(١) ، خشية أن يطلع عليها نور النهار فيفضحها . فهى دائماً تتوارى بنفسها عن الضوء ولا تخرج أبداً إلا في ظلمة الليل .

أوبيرون : أما نحن فأرواح من صنف آخر ، نعشق النهار ولا نهائيه ، ولنا ما لساكُن الأحراش من حق في التجوال أينما شئنا ، حتى إن إمتلاء الأفق في الشرق بأشعة مباركة نارية الحمرة ، يراها نيتون إله البحر فيحوّل ماءه الأخضر المالح إلى ذهب سائل أصفر اللون . . ومع هذا فعلينا أن نسرع بتنفيذ ما استقر عليه القرار ، فقد ننجح في إنجاز مهمتنا قبل طلوع النهار .

(يخرج)

بـك : هنا وهناك ، هنا وهناك ،

سأقودهما هنا وهناك ،

وأربك منهما الخطوط والعقول ،

أنا الذى يخشوننى فى المدن والحقول ،

سأقودهما هنا وهناك .

(يدخل ليساندر)

ها هو أولهما .

(١) يقصد بالأرواح الملعونة أرواح أهل الجحيم . وقد كان المتبحرون يدفنون في عصر المؤلف عند تقاطع الطرق لا في فناء الكنيسة . كما كان ثمة اعتقاد بأن الغرقى في البحار قد قُدر لأرواحهم أن تظل هائمة على الدوام لا تعرف راحة أو رقاد .

ديميتريوس : إن كانت لديك الجرأة فانتظرنى . فأنا أعلم أنك تعدو أمامى وتراوغنى
متنقلا من مكان إلى مكان ، دون أن تجرؤ على التوقف لمواجهةى ..
أين أنت الآن ؟

بـك : هنا . تعال إلى هنا .

ديميتريوس : إنك تسخر منى ، وستدفع ثمن ذلك غالياً متى رأيت وجهك فى
ضوء النهار . فلتمض الآن لشأنك .. التعب يضطرنى إلى الرقود هنا
فى هذا الفراش البارد .. فانتظرنى إذن عند مطلع الشمس .

(يرقد فى ركن آخر)

(تدخل هيلينا)

هيلينا : يالك من ليل مُنهك طويل ثقيل ! هلاً قَصَّرَت من ساعاتك ؟ !

فلتشرق الشمس بدفتها وراحتها من الشرق حتى أعود إلى أثينا فى
ضوئها ، تاركة خلفى قوماً لا يحبونى . وعسى النوم الذى يهذى
أحياناً من سورة الحزن أن يزورنى حتى أنسى ذاتى بعض الوقت .

(ترقد للنوم فى ركن ثالث)

بـك : ثلاثة حتى الآن ؟ لابد من رابع حتى يكون ثمة من كل زوجين إثنان ..
آه ! هاهى مقبلة ، حزينة وفى غضب شديد . ألا ما أخبت ذلك
الصبي كيوبيد ! أهكذا يُفقد النساء المسكينات صوابهن ؟

(تدخل هيرميا)

هيرميا : لم أخبر فى حياتى مثل هذا التعب ولا مثل هذا الشقاء . قد بللنى الطلّ
ومزقت الأغصان ثيابى .. لا طاقة لى على المشى ، وما بوسعى أن
أمضى قُدماً . وساقى أضعف من أن تطيعا هواى .. سأستريح هنا
حتى يطلع النهار . ووقى الله ليساندر من شر الشجار .

(ترقد فى الركن الرابع)

ليساندر : أين أنت يا ديميتريوس المتغطرس ؟ تكلم حتى أسمعك .
بـك : هنا أيها الوغد . سَتِفى فى يدي ومستعدّ للنزال .. أين أنت ؟
ليساندر : سأكون عندك لتوى .

بـك : فلتبعننى إذن إلى أرض أكثر استواء .

(يخرج ليساندر)

(يدخل ديميتريوس)

ديميتريوس : تكلم يا ليساندر مرة أخرى .. تكلم أيها الهارب الجبان .
ألذت بالفراغ ؟ تكلم ! أورا أجمّة أنت ؟ أين أخفيت رأسك ؟

بـك : أتفخر بنفسك أيها الجبان بمشهد من النجوم ، وتوهم الأشجار بأنك
تطلب النزال وأنت لا تجرؤ على القدوم ؟ هيا أيها الجبان الطفل حتى
أؤدبك بعصاى ، فما من رجل يشرفه أن يُشهر عليك سيفه !

ديميتريوس : أأنت هناك ؟

بـك : إتبع صوتى ، فمكاننا هذا غير صالح للمبارزة .

(يخرج جان)

(يدخل ليساندر)

ليساندر : يسبقنى وينادى علىّ يتحدانى . وحين أصل إلى مكان صوته لا أجده
فيه . لا شك فى أن الوغد أسرع خُطى منى ، إذ مهما أسرعْتُ فى أثره
فهو يسبقنى . وقد خارت قواى من وعورة الطريق فى الظلام .
فلأسترح هنا حتى يهّل علىّ النهار .

(يرقد للنوم فى أحد أركان المسرح)

حتى إذا ما ظهر ضوء الشمس ، بحثتُ عن ديميتريوس حتى أجده
وأشفى غليلى منه .

(يدخل بك وديميتريوس)

بـك : هو هو هو ! لماذا لا تأتيني أيها الجبان ؟

بـك : على الأرض تنامون

ريثما أضع عصارة الحُبِّ في العيون .

وحين تستيقظون

ستسعدون وتطربون

لمرأى من كتتم بالأمس تعشقون .

وكما يقول المثل عن النصيب

كل إمري قد قُدِّر له حبيب

وهو ما سيُبُثُّ بالتأكيد لكم

لحظة إستيقاظكم من نومكم

حين يعود كل منكم إلى هواه

فيثلج قلبه بنيل مناه .

(يخرج)

الفصل الرابع

المشهد الأول فى الغابة

(العشاق الأربعة راقدون فى نومهم - تدخل تيتانيا وبوتوم
مع أتباعهما من الجن ، بينما يراقبهم أوبيرون دون أن يروه)

تيتانيا : تعال ، فلتجلس هنا على هذا الفراش من الزهور ، حتى أتحسس
خديك الجميلين ، وأضع ورود المسك فى رأسك الناعم الأملس ،
وأقبل أذنيك الكبيرتين الرائعتين يا بهجة حياتى ومنأى .

بوتوم : أين زهر البسلة ؟

زهر البسلة : هنا .

بوتوم : اهرش لى رأسى يا زهر البسلة . . وأين المسيو نسج العنكبوت ؟
نسج العنكبوت : هنا .

بوتوم : مسيو نسج العنكبوت ، خذ سلاحك فى يدك يا مسيو ، واقتل لى
نحلة طنانة حمراء الحُصْر تقف على نبات شائك ، واحضر لى
قرص العسل يا مسيو ، ولكن حذار من أن ينكسر القرص . إنى
أسف إذ أسألك أن تحمل ما قد لا تكون لك طاقة به يا سنيور . .
ولكن ، أين المسيو حبّ الخردل ؟

حبّ الخردل : هنا .

بوتوم : هات يدك أصافحك يا مسيو حب الخردل ، ولا داعى لكل هذه الانحناءات يا مسيو .

حب الخردل : بم تأمر ؟

بوتوم : لا أطلب منك يا مسيو سوى أن تساعد الفارس نسج العنكبوت في الهرش (١) . إني في حاجة إلى حلاق يا مسيو ، ففى ظنى أن شعر لحيتى قد نما نمواً فظيماً . وما أنا إلا جحش رقيق ، إن دغدغنى الشعر فلا بدلى من الهرش .

تيتانيا : أترغب فى سماع الموسيقى يا حبيبى الجميل ؟

بوتوم : لا بأس ، فلدى أذن موسيقية . فليحضروا المصَفِّقات والمُخَشِّخَات (٢)

(عزف على المصَفِّقات والمخَشِّخَات)

تيتانيا : قل لى يا حبيبى أى الأطعمة تشتهي ؟

بوتوم : حبذا زكية من الشوفان المجفَّف الممتاز . كما أشتهى بعض الثَّين الجليد الذى لا يعلوه طعام فى الدنيا .

تيتانيا : فى خدمتى جنية جريئة بوسعها أن تسطو على ذخيرة السنجاب من البندق الطازج وتحضرها لك .

بوتوم : أفضل عليه حفنة أو حفتين من البسلة المجففة . . غير أنى أشعر برغبة عامرة (٣) فى النوم قد إنتابتنى ، ورجائى أن تطلبى من رعاياك ألا يزعجونى .

(١) لا شك فى أن شكسبير أخطأ هنا فكتب « نسج العنكبوت » بدلاً من « زهر البسلة » ، الذى كلَّفه بوتوم بهرش رأسه .

(٢) عصي من عَظْم مسطح يُمسك بها العازف بين أصابعه لإحداث الأنغام ، وتستخدم لحث الأنعام على السير .

(٣) يقصد عارمة .

تيتانيا : لتنم إذن ، وسأطوقك بذراعى . . انصرفوا أيها الجن عتاً ، وتفرقوا فى كافة الاتجاهات .

(يخرج الجن)

أطوقك بذراعى فى حنان كما تطوق العسفة شجرة صريمة الجدى ، أو كما يطوق اللبلاب جذع شجرة الدردار وفروعها . . أه ما أعظم حبى لك وإفتاننى بك !

(يدخل أوبيرون وبك)

أوبيرون : أهلاً بك ياروين . تفرَّج على هذا المنظر الجميل ! لقد بدأت أشفق عليها من جنونها وحققتها . . قابلتها منذ قليل خلف الغابة تبحث عن هدايا ثمينة تقدّمها لهذا الأبله الكريه ، فوبختها وتشاجرت معها . . كانت قد وضعت على رأسه المشعر إكليلاً من الزهور النضرة العطرة . أما قطرات الطلّ التى تتجمع على البراعم وتكبر حتى تبدو أحياناً كلالئ الشرق ، فقد رأيتهما وقتئذ فى أعين الزهر الجميل كالدموع تنهمر أسفاً على حماقة تيتانيا . . . وعندما عنفتها بما فيه الكفاية ، وشرعت هى فى رقة تطلب منى أن أكفّ ، سألتها أن تتنازل لى عن غلامها المسروق ، فتنازلت لى على الفور عنه ، وبعثت بجنية لتحضره لى تعريشتى فى مملكة الجن . . وإذ بات الغلام الآن لى ، فسأزِيل عن عينيه ذلك الوهم الكريه . . . وعليك الآن يا بك أن تنزع رأس الجحش عن هذا العامل الأثينى ، حتى إذا ما استيقظ مع استيقاظ الآخرين ، عادوا جميعاً إلى أثينا وفى اعتقادهم أن كل ما حدث هذه الليلة ليس إلا أضغاث أحلام مزعجة .

(يضع قطرات من العصارة فى عينى تيتانيا)

غير أنى سأبدأ بإزالة الوهم عن ملكة الجن :

عودى إذن إلى ما كنت عليه منذ حين

وانظرى بالعين التى كنت بها تُبصرين

وها هي زهرة ديانا تبطل مفعول زهرة كيوييد
إذ لها لَعْمَرِي تأثير قوي ومفعول أكيد (١) .

والآن فلتستيقظي يا تيتانيا ، أي ملكتي الجميلة .

تيتانيا : حبيبي أوبيرون ، أية أحلام تلك التي رأيتها في منامي . خُيِّلَ لِي أَنِّي قَدْ
وقعت في غرام جحش .

أوبيرون : وها هو حبيبك يرقد هنا .

تيتانيا : كيف حدث هذا ؟ ألا ما أبشع وجهه الآن في عيني !

أوبيرون : أصبري هُنيهة .. رويين إخلع عنه هذه الرأس . وأنت يا تيتانيا عليك
بالموسيقين .. نريد عَزْفًا يُنسى هؤلاء الخمسة (٢) ما حدث لهم .

(صوت موسيقى هادئة)

(ينزع بك رأس الجحش عن بوتوم)

بك : لنتنظر عند استيقاظك بعيني الأحق الذي كنته من قبل .
أوبيرون : نريد الآن موسيقى الرقص !

(تتحول الموسيقى الهادئة إلى موسيقى الرقص)

هيا يا ملكتي ، فلتتشابك أيدينا ، ولنهزّ برقصنا الأرض التي يرقد عليها
هؤلاء النيام .

(يرقصان)

قد عدنا الآن إذن إلى حبنا القديم . وسنرقص غدًا عند منتصف الليل في
الاحتفال بمنزل الدوق ثيسبيوس ، ونباركه ندعو له بالخيرات ..

(١) الفطرات التي يضعها أوبيرون في عيني تيتانيا هي من عصارة زهرة تباركها ديانا إلهة العفة ، ولها
القدرة على إزالة الغشاوة عن أعين المحبين . فديانا هي عدوة كيوييد الذي يُوقع الناس في شرك
الغرام ، فتأتي ديانا لتخلصهم منه .

(٢) يقصد العشاق الأربعة بالإضافة إلى بوتوم .

وسيكون بالحفل هؤلاء العشاق الأوفياء ، الذين سيعقد قرائنهم في نفس
الوقت مع ثيسبيوس ، في جو من الجبور والإنشراح .

بك : صه يا ملك الجن فإني أسمع صوت قبة الصباح .

أوبيرون : فلتنسحب إذن أي ملكتي في صمت مع إنحسار ظلمات الليل . وإنه
لبوسعنا أن ندور حول كوكب الأرض بأسرع من دوران القمر في مداره .

تيتانيا : هيا يا مولاي . ولتختبرني أثناء إنصرافنا كيف حدث أن وجدتني هذه
الليلة راقدة على الأرض مع هؤلاء الآدميين الفانين .

(ينصرفون)

(صوت أبواق . يدخل ثيسبيوس وهيوليتا وإيجيوس مع أتباعهم)

ثيسبيوس : فليذهب أحدكم ليبحث عن حارس الغابة .. قد فرغنا الآن من
الطقوس (١) . وما دام النهار كله أمامنا فلأنعم مع حبيبتى برحلة
صيد . أطلقوا سراح كلابنا بالوادي الغربي . أسرعوا ، وإبحثوا عن
حارس الغابة .. أما نحن يا ملكتي الجميلة فسنرقى قمة الجبل
ونستمع هناك إلى إختلاط نباح الكلاب مع أصداؤه .

هيوليتا : كنت ذات مرة مع هرقل وكادموس في إحدى غابات جزيرة كريت ،
حين حاصرت كلابهم الإسبرطية دبًا من الدببة .. سمعتُ يومها نباحًا
لم أسمع مثيلًا له من قبل ، نباح رددته الأجاث والسماء والنافورات وكل
بقعة قريبة من المكان ، فاختلطت الأصداؤه في صرخة قوية واحدة ، أو
هي الموسيقى النشاز أو قصف الرعد الرخيم ..

ثيسبيوس : كلابي هي أيضًا من سلالة إسبرطية ، عظيمة الفكين ، رملية اللون ،
ولها أذنان تنفضان بهما ما هبط عليهما من طلّ الصباح ، وأرجل
مقوسة ، وجلد يتهدّل من عنقها شأن ثيران ثيساليا ، بطيئة في عدوها ،

(١) طقوس قديمة يجتمع العشاق بمقتضاها ليراقبوا مطلع الفجر في عيد أول مايو .

غير أن نباحها مختلف الطبقات ، ذو عذوية لا نلمسها في نباح كلاب كريت أو إسبرطة أو ثيساليا . . . ولتحمى بنفسك حين تسمعه . . . ولكن ، صة ! أى جنّ يرقد هنا ؟

إيجيوس : مولاي ، هذه إبنتى نائمة هنا ، وهذا ليساندر ، وهذا ديميتريوس ، وهذه هيلينا إبنة نيدار العجوز . ليت شعري كيف التقوا معا في هذا المكان ؟

ثيسوس : لا بدّ أنهم استيقظوا في ساعة مبكرة للاحتفال مثلنا بمطلع الفجر وأداء طقوس عيد أول مايو ، وأن يكونوا قد علموا بنيتنا الخروج فجاءوا لإستقبالنا . . . ولكن ، خبرنى يا إيجيوس ، أليس اليوم هو اليوم المحدد لإدلاء هيرميا برّدها وقرارها ؟

إيجيوس : أجل يا مولاي .

ثيسوس : لتطلب من الصيادين أن يوقظوهم بصوت أبواقهم .

(صوت أبواق - يستيقظ العشاق من سباتهم)

نعم صباحكم أيها الأصدقاء . لقد إنقضى عيد القديس فالتين منذ أمد بعيد ^(١) ، وأنتم تبدؤون سفاذكم الآن ؟! أى نوع من طيور الغابة أنتم ؟!

ليساندر : عفواً يا مولاي .

ثيسوس : هبوا جميعاً واقفين . . أنا أعلم أنكم عدوان متنافسان . فكيف حدث إذن أن توافقتما بحيث تسمح الكراهية والغيرة لمتنافسين بأن يرقدا جنباً إلى جنب دون أن يخشى كل منهما جانب الآخر ؟

ليساندر : أجيبك يا مولاي وأنا في حيرة من أمرى وبين النوم واليقظة . ومع ذلك فأكاد أقسم أنى لا أعلم كيف جئت إلى هنا . إنه الصدق ما أقول ، غير أنى قد بدأت الآن أتذكر أننى . . . نعم ، أننى جئت إلى هنا مع

(١) عيدٌ يُحتفل به يوم ١٤ فبراير من كل عام ، ويقال إن الطيور فيه تختار أزواجها في موسم التناسل .

هيرميا . وكان قصدنا أن نترك أثينا إلى مكان لا سلطان لقوانينها عليه ، وأن

إيجيوس : يكفى هذا يا مولاي . . . في قوله ما فيه الكفاية . . فلتنزل به العقوبة الواردة في القانون . . كانا يا ديميتريوس يعتزمان الفرار حتى يفسدا عليك وعلى خططنا ، بأن يحرمك من الزوجة ، ويحرمانى من حقى في الموافقة ، موافقتى على أن تكون إبنتى زوجة لك .

ديميتريوس : مولاي . لقد أطلعتنى هيلينا الجميلة على سرّ إعترامها الهرب ، ونيتهما التوجّه إلى هذه الغابة . وقد تبعتهما إليها وأنا في غضب شديد ، وتبعتنى هيلينا الجميلة لحثّها لى . . . غير أنى يا مولاي لا أعلم أى قوة تلك - فلا شك أن ثمة قوّة ما - تلك التى تسببت في أن يذوب حوى هيرميا كما تذوب الثلوج ، بحيث يبدولى هذا الحب الآن كذكرك دمية لا جدوى منها كنت أحبّها في طفولتى أشدّ الحب . . أما وفائى وهوى . ومصدر سعادتى وهنائى ، فهيلينا وحدها . لقد كنتُ يا مولاي خطيبها قبل أن أرى هيرميا . وكما أن المرء في حال مرضه قد يكره هذا الطعام أو ذاك ، حتى إذا ما إستردّ عافيته عاد إلى إشتهائه ، فكذا الحال معى . قد بتّ أشتهيها وأهواها وأشتاق إليها ، وسأكون وفياً لها إلى أبد الأبدى .

ثيسوس : وإنه لمن حسن الطالع أن نقابلكم هنا أيها العشاق الأوفياء . ستحدث في هذا الأمر فيما بعد بتفصيل أوفى . . إيجيوس ! لكن لإرادتى اليد العليا لا إرادتك . ففى المعبد سيحتفل هؤلاء بزواجهم وقت إحتفالى بزواجى . وحيث أن الصباح قد إنقضت الآن منه عدة ساعات ، فلن نقوم برحلة الصيد المعتزمة . فلنعد معا إلى أثينا : ثلاثة رجال وثلاث حسناوات ، يشتركون جميعاً في أجل الاحتفالات .

(يخرج ثيسوس وهيلينا وإيجيوس وأتباعهم)

ديميتريوس : قد اختلطت عندى أحداث الليلة الماضية وأحداث الصباح كما تمتزج الجبال البعيدة بالسحب في السماء .

الفصل الرابع

المشهد الثانى

منزل كوينس فى أثينا

(يدخل كوينس ، وفلوت ، وسناوت ، وستار فلينج)

كوينس : هل بعثتم أحدًا إلى منزل بوتوم ؟ هل عاد إلى داره ؟

ستار فلينج : لم يسمع أحد خبرًا عنه ، ولا شك فى أنه قد مُسِخ .

فلوت : إن لم يعد ذهبت تمثيليتنا أدرج الرياح . فنحن لن نمثلها إن هو لم يعد ، أليس كذلك ؟

كوينس : لا . لن يكون ذلك بالإمكان . فما من رجل واحد فى أثينا كلها له قدرة بوتوم على أداء دور بيراموس .

فلوت : معك حق . فالرجل يتمتع بعقل لن تجد نظيرًا له بين العمال فى أية صناعة فى أثينا .

كوينس : أجل . ولا نظير أيضًا لشخصيته أو صوته . إنه نموذجٌ يُحتَرَى .

فلوت : تقصد « نموذج يحتذى » . فمؤذج يحتذى ، ولا مؤاخذه ، خطأ .

(يدخل سنج)

سنج : أيها السادة ، قد ترك الدوق المعبد ومعه إثنان أو ثلاثة من الأزواج قد عقدوا قرانهم هم أيضًا . لو كنا قد مثلنا تمثيليتنا أمامه لطارت شهرتنا فى الآفاق .

هيرميا : يُبَيِّأ لى أنى إننا انظر إلى هذه الأمور من خلال ضباب كثيف ، بحيث يبدو كل شىء مزدوجًا فى عيني .

هيلينا : وكذا الحال معى . . فأنا إننا عثرت على ديميتريوس عثورى على جوهرة لا أدرى أهى لى أم لا .

ديميتريوس : أواثقون أنتم من أننا أيقاظ ؟ يبدو لى وكأننا نحن لا نزال فى نومنا نحلم . . هل كان الدوق هنا حقًا وطلب منا أن نتبعه ؟

هيرميا : أجل ، وكان والدى معه .

هيلينا : وهيبوليتا أيضًا .

ليساندر : وأمرنا أن نتبعه إلى المعبد .

ديميتريوس : فنحن أيقاظ إذن ! لننتبعه ، وليقص كل منا أثناء الطريق ما رآه من أحلام . (يخرج العشاق)

بوتوم : (يستيقظ من نومه) نادوا علىّ حين يحى دورى وسأجيب . سأجيب

حين تقول نيسى « أى بيراموس الوسيم » . . هاى ! هو ! بيتري

كوينس ! فلوت ! مصلح المنافخ ! سناوت ! يا سمكرى ! ستارفلينج !

يا إلهى ! تسللوا من المكان وتركوني نائمًا ! . . رأيت فى منامى أغرب

حلم فى الوجود . حلم لن يكون بوسع مخلوق أن يفسره ، والجحش

وحده الذى سيدعى القدرة على تفسيره . . . حلمت أننى . . . شىء

لن يدور بخلد إنسان . . حلمت أننى وحلمت أن لى . . .

غير أن الأحق وحده هو الذى سيدعى معرفة ما كان لى . . فما

سمعت عين إنسان ، ولا رأت أذن إنسان ، ولا ذقت يد إنسان ،

ولافهم لسان إنسان ، ولا تكلم قلب إنسان ، بمثل ما رأيته فى

النام . . . سأطلب من بيتري كوينس أن ينظم قصيدة غنائية عن هذا

الحلم ، وسنسميها « حلم بوتوم » ، فهو حلم لا قعر له ولا قاع^(١) .

وسأغنى القصيدة فى الجزء الأخير من التمثيلية أمام الدوق . وربما

غنتها لحظة وفاة نيسى حتى تكون لها مناسبة . (يخرج)

(١) تعنى كلمة بوتوم بالإنجليزية القعر أو القاع .

فلوت : أسفى عليك يا بولى بوتوم ! لولا إلغاء التمثيلية لأمرؤا لك بسة بنسات
عن كل يوم مدى الحياة . فالمؤكد أنه كان سينالها ، وليس إسمى فلو
إن لم يكن من المؤكد أن الدوق كان سيأمر له بسة بنسات عن كل يوم
مدى الحياة ، مكافأة له على أدائه دور بيراموس . وكان الرجل حقاً
يستحقها . إما سة بنسات أو لا شىء مقابل أداء دور بيراموس .

(يدخل بوتوم)

بوتوم : أين أنتم يا رجال ؟ أين أنتم يا أصدقاء ؟

كوينس : بوتوم ! ألا ما أسعده من يوم ! ألا ما أسعدها من ساعة !

بوتوم : آه يا ساه ! لى قصة ملئها العجب العُجاب . ولكن لا تطلبوا منى
أن أروىها لكم . ولعنة الله على إن أنا رويتها لكم . ومع ذلك فسأروىها
لكم ، وبكل تفاصيلها ، وكما وقعت بالضبط .

كوينس : هيا أروها لنا يا بوتوم العزيز .

بوتوم : لن أنطق بكلمة . كل ما سأقوله لكم هو أن الدوق قد فرغ من عشائه .
فهنا إجمعوا ملابس التمثيل ، وخبوطا قوية لتركيب اللحم فى الوجه ،
وأربطة جديدة لنعالكم ، ولتقابل لتونا عند القصر . وليراجع كل فرد
منكم دوره . فخلاصة القول أن تمثيلتنا قد وقع عليها الاختيار . وعلى
أى الأحوال فلا بد لثيصى من ملابس نظيفة . وليحذر من سيقوم بدور
الأسد من أن يقلم أظافره ، فهى التى سيرزها باعتبارها مغالب الأسد .
ورجائى الحار أبها الممثلون الأعزاء أن تمتنعوا عن أكل البصل والثوم .
فأنفاسنا ينبغى أن تكون لذيدة الرائحة أثناء الإلقاء ، حتى نسمعهم
يقولون إنها كوميدىا لذيدة . . ثم لا كلام بعد هذا فهنا بنا إذن . هيا !

الفصل الخامس

المشهد الأول القصر في أثينا

(يدخل ثيسوس ، وهيوليتا ، وفيلوسترات ، وبعض الأتباع)

هيوليتا : ما أغرب ما يرويه هؤلاء العشاق من حديث !

ثيسوس : غرابته أشد من صدقه . فليس بوسعى أن أصدق هذه الخرافات القديمة أو هذه الأحاديث الساذجة عن الجن . إن للعشاق والمجانين عقولاً متهيجة ومخيلات غريبة تمكنهم من رؤية ما لا يراه العقل الهادئ . فالمجنون والعاشق والشاعر لهم نفس الصنف من المخيلة . أحدهم يرى من الشياطين ما ليس بوسع الجحيم أن يحتويه ؛ وهذا هو المجنون . أما العاشق - وهو في مثل تهيجه - فقد يرى جمالاً كجمال هيلين في وجه غجرية من مصر . وأما الشاعر فهو في نوبات جنونه ينقل بصره من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء ، فتصوّر له مخيلته أشكال أشياء غير معروفة أو مألوفة ، ويستطيع بقلمه أن يجسدها وأن يخلق من لا شيء شيئاً يُسمّيه . وللمخيلة القوية حيّلها ؛ فهي إن توقعت سعادة خالت هذا الشخص أو ذاك قد جاء إليها بالخبر السعيد . وإن توقعت شراً كان من السهل عليها أن ترى في الليل في كل شجرة دّباً مفترساً !

هيوليتا : غير أن إجماعهم على رواية أحداث الليل على نحو واحد ، ومروورهم جميعاً

بنفس التجربة يشهدان على أن بالأمر أكثر من مجرد أوهم ، وأنه حقيقة رغم غرابته المذهلة .

(يدخل ليساندر وديميتريوس وهيرميا وهيلينا)

ثيسيوس : ها هم العشاق قد أقبلوا وقد غمرتهم السعادة والفرح .. غمر الله قلوبكم أيها الأصدقاء الأعزاء بالحبور ، ومدّ في أيام حبّكم .

ليساندر : وشمل قصرك ومتنزهاتك ومآدبك وفراشك بسعادة يفوق قدرها قدر سعادتنا .

ثيسيوس : والآن ، أية تسليات أو تمثيلات أو رقصات قد تم إعدادها لنا حتى نقطع الساعات الثلاث الطويلة ما بين العشاء ووقت النوم ؟ أين المشرف على تنظيم الاحتفالات ؟ أية تسليات قد أعدت ؟ أما هناك من تمثيلية تحفّف من وطأة عذاب الساعات المتبقية ؟ نادوا فيلوسترات .

فيلوسترات : هنا أي ثيسيوس العظيم .

ثيسيوس : خبّرنا بتسليات هذا المساء . أسيكون هناك رقص ، أم موسيقى ؟ أم ثمة تسلية أخرى تزيل إحساسنا ببطء مرور الوقت ؟

فيلوسترات : ها هي قائمة بما أعدّ من تسليات . فلتختر سموك ما تريدنا أن نبدأ به .

ثيسيوس : (يتناول القائمة منه ويقرأ) « الحرب مع القنطور : (١) أغنية يغنيها خصي أثيني على أنغام القيثارة » . . . لا نريد هذا ، فقد سبق أن رويت لحبيبتى هذه القصة عن أمجاد قريبى هرقل . . . (يقرأ) تمرد السكارى من تابعات باخوس (٢) ، وكيف مزقن إربا في سورة غضبهن مغنيا من إقليم ثراسيا (٣) . . . قد شاهدنا هذا من

(١) القنطور : كائن خرافي نصفه رجل ونصفه فرس .

(٢) باخوس : إله الخمر .

(٣) ثراسيا : إقليم في الجنوب الشرقى من البلقان . والمقصود بالمغنى هنا هو أورفيوس .

قبل عند عرضه بعد عودتى ظافراً من طيبة . . . (يقرأ) « إلهات الفنون التسع ينعين اختصار الثقافة التي توفيت مؤخرًا في حال من الفقر والإملاق » . . . لابد أنها إحدى السخريات اللاذعة الناقدة مما لا يليق بحفل زفاف . . . (يقرأ) « منظر ممل قصير عن بيراموس الشاب وحبيته ثيسى ، وهى كوميديا مأساوية للغاية » . . . ما هذا ؟ كوميديا ومأساوية ؟ مملة وقصيرة ؟ إنه الجليد الساخن إذن ، والتلج اللافح ! كيف نفهم هذا اللغو غير المفهوم ؟

فيلوسترات : هناك بالفعل تمثيلية يا مولاي من عشر كلمات ، هى أقصر ما عرفته من تمثيلات . وهى مع ذلك أطول من اللازم بعشر كلمات ، وهو ما يجعلها مملة . إذ ليست بالمسرحية كلها كلمة ذكية واحدة ، ولا ممثل مناسب لدوره . . . هى مأساوية بالفعل أى مولاي النبيل ، فيراموس فيها يقتل نفسه ، وهو منظر ما شاهدته والممثلون يتمرتون عليه حتى إغرورقت عيني بالدموع . ولكنها دموع الضحك والفقهقات العالية مما لم يخبر الناس لها مثيلاً !

ثيسيوس : ومن هم الممثلون فيها ؟

فيلوسترات : عمالّ خشنو الأيدى يعملون هنا في أثينا ، ممن لم يفكروا في تشغيل عقولهم حتى اليوم . غير أنهم الآن قد شحذوا ذاكرتهم غير المدربة حتى يقدّموا هذه المسرحية في الاحتفال بزفافك .

ثيسيوس : سنسمعها منهم .

فيلوسترات : لا يا مولاي أرجوك . إنها لا تليق بك . لقد حضرتها فوجدتها محض هراء . . . عبث ولغو . . . هذا ما لم تكن بك رغبة في السخرية مما بذلوه من جهد شاق في حفظ أدوارهم وأدائها من أجل تمثيلها أمامك .

ثيسيوس : سأستمع إلى تلك المسرحية . إذ لاغضاضة من شئ نابع عن براءة وإخلاص وإحساس بالواجب . أحضرهم هنا . . . ولتأخذ السيدات أماكنهن .

(يخرج فيلوسترات)

هيوليتا : لا أطيع منظر البسطاء يحاولون القيام بها لا طاقة لهم به عن مجرد إحساس خاطئ منهم بالواجب .

ثيسيوس : ولكنك يا حبيبتي لن تشاهدي شيئاً من هذا القبيل .

هيوليتا : يقول إنهم لا يفهمون شيئاً في باب التمثيل .

ثيسيوس : سيكون فضلنا إذن مضاعفاً إن نحن شكرناهم على شيء لا قيمة له ، وستكون متعنتاً في تقبّل أخطائهم بصدر رحب . فالإنسان النبيل إنما يحكم على عرض من هذا النوع على ضوء الجهد الذى بُذل فيه لا القيمة الحقيقية له . . أذكر أنني عند وصولي ، علمت أن بعض العلماء أعدوا لاستقبالى خطباً بذلوا في كتابتها جهداً كبيراً . فما وقفوا لتلاوتها أمامي حتى إرتعدت أبدانهم وشجبت وجوههم ، وصاروا يتوقفون في منتصف الجمل وقد عقدت الرهبة ألسنتهم ، ويتلعثمون في نطق ما أتقنوا إعداده ، ثم إذا هم يتوقفون تماماً دون إتمام خطب الترحيب . . صدقيني يا حبيبتي حين أقول إنني لمست حينئذ الترحيب حتى في سكوتهم ، ولمست في تلعثهم الناجم عن رهبة أداء الواجب نية طيبة لا ألسها في خطبة طنانة يلقيها خطيب جرىء بليغ . ولذا فإنني أعتقد أن الكلمات النابعة عن المحبة والإخلاص هي التي تصل إلى القلب حتى إن تلعثم قائلها في النطق بها .

(يدخل فيلوسترات)

فيلوسترات : مولاي ، مُقَدِّم التمثيلية مستعدّ للبدء .

ثيسيوس : دعه يدخل .

(صوت أبواق - يدخل كوينس لإلقاء المقدمة)

كوينس : إن نحن أخطأنا أو ضايقنا أحداً فهذا قصدنا . نوضح لكم أملنا أن تثقوا في أننا لم نقدم لنضايقكم وإنما عن حسن نية . لإظهار مواهبنا المتواضعة ، هذه هي غايتنا الحقيقية . فثقوا إذن أن الغرض الحقيقي

من قدومنا وما قدومنا . للاستخفاف بكم وإهانتكم هو إرضائكم . ولإدخال السرور إلى قلوبكم لسنا هنا . لإشعاركم بالندم على مشاهدة تمثيلتنا الممثلون جاهزون^(١) . وستفهمون من تمثيلهم كل المعاني التي قصدها المؤلف .

ثيسيوس : هذا الرجل لا يلقى بالا على الإطلاق إلى ترقيم الجمل .

ليساندر : كان في قراءته للمقدمة كالمهر الساذج لا يدري أين ينبغي أن يتوقف . والمغزى من ذلك يا مولاي أنه لا يكفى المرء أن يتكلم ، بل المهم أن يتكلم جيداً .

هيوليتا : لقد قرأ مقدمته كما يعزف الطفل على الفلوت : أصوات ولا موسيقى .

ثيسيوس : كان حديثه كسلسلة الحديد المتشابكة المعقدة : لم يلحقها ضرر وإن صعب حلها . . من يأتي بعده ؟

(يدخل بيراموس وثيسبي والحافظ وضوء القمر والأسد)

كوينس : قد تتساءلون أيها السيدات والسادة الكرام عن موضوع تمثيلتنا . . فلتتساءلوا كما يعنّ لكم حتى يتضح لكم مغزاها ومجراها .

فإن شئتم معرفة اسم هذا الرجل ، فإسمه بيراموس . أما هذه السيدة الجميلة فالمؤكد أنها ثيسبي . وهذا الرجل الذى يعلمو ملابسه الجير وتحشينة الطلاء فيمثل الحائط ، ذلك الحائط الشرير الذى كان يفصل ويفرق بين الحبيين ، والذى كان المسكينان قانعين بالتحادث عبر شق

(١) في استخدام كوينس للنقط والفواصل اضطراب شديد يفسد المعنى وقد يعكسه . والترقيم الصحيح للنص هو كالتالى :

« إن نحن أخطأنا أو ضايقنا أحداً ، فهذا قصدنا نوضحه لكم : أملنا أن تثقوا في أننا لم نقدم لنضايقكم ، وإنما ، عن حسن نية ، لإظهار مواهبنا المتواضعة . . هذه هي غايتنا الحقيقية . فثقوا إذن أن الغرض الحقيقي من قدومنا ، (وما قدومنا للاستخفاف بكم وإهانتكم) هو إرضائكم ، ولإدخال السرور إلى قلوبكم . . لسنا هنا لإشعاركم بالندم على مشاهدة تمثيلتنا . . الممثلون جاهزون » .

فيه . فحدث إذن ولا حرج . أما هذا الرجل الذى يحمل القنديل وحزمة من العصي ويتبعه كلب ، فيمثل ضوء القمر . ذلك أن العاشقين كانا يلتقيان في ضوء القمر عند مقبرة نينوس حتى يبت كل منهما للآخر هواه . . أما هذا الحيوان الرهيب فهو الأسد . هو الأسد الذى أخاف ثيسبى حين خرجت إلى الموعد ليلاً . وإذ فزت من الأسد ، سقطت منها عباءتها أثناء الفرار فجاء الأسد ولوث العباءة بفمه الدامى . . ثم يأتى بيراموس ، ذلك الشاب الودود طويل القامة ، يرى عباءة ثيسبى ملطخة بالدماء ، فيحسب أن الأسد إفترسها ، ويطعن صدره الحزين بسيفه الدموى في شجاعة عظيمة . وبعد أن انتظرت ثيسبى بعض الوقت تحت شجرة توت ، عادت إليه فوجدته صريعاً فاستلّت خنجره وإنتحرت به . . . غير أنى سأترك الآن العاشقين والحائط وضوء القمر والأسد ليصوّروا لكم الأحداث بالتفصيل .

(يخرج الجميع فيما عدا الحائط الذى يمثله سنات)

ثيسبوس : تُرى هل سيتكلم الأسد ؟

ديميتريوس : إن كانت هذه الحمير تتكلم يا مولاي فلا عجب أن يتكلم الأسد .

الحائط : في هذه التمثيلية القصيرة ألعب أنا ، وإسمى الحقيقى سنات ، دور الحائط . وفي هذا الحائط - كما قيل لكم - حُرْم أو شق يتحادث عبره المحبان ، بيراموس وثيسبى ، ويتهايمان بأسرارهما . أما هذا الجير وتحشينة الطلاء على ملابسى ، وهذه الحجرة في يدي ، فتوضّح أننى الحائط المشار إليه . وأما هاذان الإصبعان المنفرجان في يدي فيمثلان الشق الرهيب الذى حدثتكم عنه ، والذى يتهايم عبره العاشقان الوجلان .

ثيسبوس : أكنتم تتوقعون مثل هذه الفصاحة من جير وتحشينة ؟

ديميتريوس : إنه لأفصح حائط سمعته في حياتي يتكلم يا مولاي .

ثيسبوس : ها هو بيراموس يقترب من الحائط . . سكوت !

(يدخل بيراموس الذى يمثله بوتوم)

بيراموس : أيها الليل البهيم ! أيها الليل حالك الظلمات ! أيها الليل الذى يعقب النهار ! آه منك ! يا ليل ، آه منك ، آه منك . إني لأخشى أن تكون ثيسبى قد أخلفت وعدها . . وأنت أيها الحائط ، أيها الحائط الطيب الجميل الذى تفصل بين أرض أبيها وأرض أبى ! أنت أيها الحائط ، أيها الحائط ، أيها الحائط الطيب الجميل ! أين الشق فيك حتى انظر بعيني من خلاله ؟ شكراً أيها الحائط المهذب ، وعسى أن يحسن الله جزاءك على هذا المعروف . ولكن ، من ذا هناك ؟ لا . ليست ثيسبى . أيها الحائط الشرير الذى لا يريد لى الهناء . ملعونة أحجارك تلك التى غرّرت بعيني !

ثيسبوس : ما دام الحائط قادراً على التعبير عن نفسه ، فمن واجبه أن يرّد على هذه الإهانة .

بيراموس : لا يا مولاي ، ليس من حقه أن يرّد الآن . فجملة « غرّرت بعيني » هي الإشارة لثيسبى بالدخول . ستدخل الآن فألمحها من خلال الحائط . وسترى يا مولاي بنفسك أن هذا بالضبط هو ما سيحدث . . ها هي ذى قد أقبلت .

(تدخل ثيسبى التى يمثّل فلوت دورها)

ثيسبى : أيها الحائط ! مراراً وتكراراً سمعت أننى وشكواي من أنك تفصل بين حبيبي الوسيم بيراموس وبينى . . لطالما قبلتُ أحجارك بشفتي الشبيهتين بالكرز ، تلك الأحجار المدهونة بالجير وتحشينة الطلاء .

بيراموس : أرى صوتاً . . سأمضى لتوى إلى الشق حتى أسمع وجه ثيسبى . . . ثيسبى ؟

ثيسبى : حبيبي ! . أظن المتكلم حبيبي .

بيراموس : ظننى كما شئت . فأنا حبيبك الذى يياثل وفاؤه وفاء ليماندر .

ثيسبى : وسأظل إلى الموت وفيه لك وفاء هيلين لحبيبتها .

بيراموس : ما كان وفاء شفالوس لبروكروس كوفائى لك .

ثيسبى : ووفائى لك كوفاء شفالوس لبروكروس (١) .

بيراموس : قبلينى عبر الحُرْم فى هذا الحائط اللعين .

ثيسبى : ما أرانى قبلتُ غير شق الحائط لا شفتيك .

بيراموس : قابلينى إذن للتو عند مقبرة نينى .

ثيسبى : سأتحدى الحياة والموت وأقابلك لتوى .

(يخرج بيراموس وثيسبى)

الحائط : وهكذا أكون ، أنا الحائط ، قد أدت دورى . وإذا انتهى هذا الدور فإن الحائط يتسلل خارجًا .

(يخرج)

ثيسبوس : قد زال الحائط إذن بين الدارين .

ديميتريوس : المشكلة لا تزال قائمة يا مولاي . فما دامت للحيطان آذان فسيظل بوسعها أن تسمع أسرارها حتى من على بعد .

هيوليتا : لم أر فى حياتى ما هو فى سخافة هذه التمثيلية .

ثيسبوس : ما خير التمثيليات إلا خيال زائف ، وما أسوأها بأسوء من خيرها متى إستعان المتفرج بمخيلته لإكمال نقص الأداء .

هيوليتا : هى مخيلتك إذن التى يُعْتَدُّ بها لا مخيلة الممثلين .

ثيسبوس : ولو كان رأينا فيهم كرايم فى أنفسهم كَلْنَاهُمْ رجالاً عظاماً . . . وهذان وحشان آخرا قد أقبل . رجل وأسد .

(١) اختلط الأمر على بيراموس وثيسبى . فالمقصود هنا هم ليماندر (لا ليماندر) وحبيبته هيرو (لا هيلين) ، وسيفالوس (لا شفالوس) وحبيبته بروكرس (لا بروكروس) . كما ظنت ثيسبى أن شفالوس هو المرأة .

(يدخل الأسد ، ويمثله شنج ، وضوء القمر ، ويمثله ستار فلينج)

الأسد : أيتها السيدات ، يا من تنفطر قلوبهن الرقيقة من الخوف لرؤية أصغر فأر متوحش يجرى على الأرض ، قد تنزعجن الآن هنا وترتعد أبدانكن حين تسمعن زئير الأسد المفترس الغاضب . غير أنى أبادر فأطمئنكنم ، فأنا سناوت النجار ، ألعب دور أسد فتاك . . أسد لا مجرد لبوة . وفَتَاك لو أنى صارعتُ أحدًا هنا ، لغدا المنظرُ لعمري مخيفًا رهيبًا .

ثيسبوس : وإنه لعمري أسدٌ رقيقٌ للغاية ، وذو ضميرٍ حق .

ديميتريوس : ألطف أسد شاهدته فى حياتى يا مولاي .

ليساندر : كمثل الثعلب فى شجاعته .

ثيسبوس : وكمثل الأوزة فى حكمتها .

ديميتريوس : لا يا مولاي . فالشجاعة لا يمكنها أن تطفى على الحكمة كما يطغى الثعلب على الأوزة .

ثيسبوس : والمؤكد عندى أن الحكمة لا يمكنها أن تنهض بعبء الشجاعة ، كما لا يمكن للأوزة أن تنهض واقفة والثعلب يعتليها . . ولكن كفى . . فلنترك كل هذا لحكمته ، ولنستمع الآن إلى القمر .

ضوء القمر : هذا القنديل يمثل القمر ذا القرنين (١) .

ديميتريوس : كان من الأفضل لو أنه لبس على جبينه القرنين .

ثيسبوس : ما هو بالهلال ، وإنما هو بدر قد اختفت قرونها فى محيط دائرته .

ضوء القمر : هذا القنديل يمثل القمر ذا القرنين . وأما عنى فأمثل إنسان القمر .

ثيسبوس : هذه أكبر غلطة فى التمثيلية حتى الآن . فإن كان هو إنسان القمر ، فالواجب أن يكون داخل القنديل لا خارجه .

ديميتريوس : هو لا يجرؤ على الدخول ، فالشمعة فيه موقدة ، إن دخل أطفأها .

هيوليتا : قد سئمت هذا القمر وبدأت أدعو أن يغيب .

(١) يعنى الهلال .

ثيسوس : على أى حال فإن ذكاءه المحدود يوحى بأنه على وشك الأفول .

ومع كل هذا فإن دواعى الأدب تلزمنا بالبقاء حتى النهاية .

ليساندو : واصل حديثك يا قمر .

ضوء القمر : كل ما على أن أقوله هو أن هذا القنديل يمثل القمر ، وأنى أمثل لإنسان القمر ، وهذه العصي هى عصي ، وهذا الكلب كلبى .

ديميتريوس : كل هذا ينبغي أن يكون داخل القنديل ، فكلها فى القمر . . ولكن ، صة !فها هى ثيسبى تدخل .

(تدخل ثيسبى)

ثيسبى : ها هى مقبرة نينى . فأين حبيبى إذن ؟

الأسد : (يزار) أووو .

(ثيسبى تلوذ بالفرار)

ديميتريوس : حسنا زارت يا أسد .

ثيسوس : حسنا عدوت يا ثيسبى .

هيوليتا : حسنا سطعت يا قمر . . أقسم أنه يسطع فى رشاقة بديعة .

(يعض الأسد عباءة ثيسبى)

ثيسوس : حسنا عضت يا أسد .

ديميتريوس : ثم يأتى بيراموس .

(يخرج الأسد)

ليساندر : وهكذا يختفى الأسد .

(يدخل بيراموس)

بيراموس : أيها القمر الجميل ، إنى لشديد الإمتنان لإرسالك هذه الأشعة الشمسية . . أشكرك أيها القمر على ما تسطع به الآن من ضوء باهر ، إذ سيمكّننى هذا الضوء الكريم الذهبى المتلألئ من رؤية وجه ثيسبى فى وضوح وجلاء .

ولكن ما هذا ؟ ياللهول ! انظر أيها الفارس المسكين ،

تطلع إلى هذا المنظر المفجع الأليم .

أتره عيناك ؟ كيف حدثت هذه المصيبة ؟

آه يا بطتى ! آه أيتها الحبيبة !

عباءتك الجميلة البيضاء

أراها ملطخة بالدماء .

تعالى يا أرواح الثار ، وأنت أيتها الأقدار

واعصنى عصفا بالشريرين والأبرار .

إسمعى وعسى

دَمْرِى واقمعى

كسرى واسحقى

هشّمى واحرقى .

ثيسوس : هذه العاطفة القوية وموت صديق عزيز قد يثيران فى المرء إحساسا يشبه الحزن .

هيوليتا : أقسم أنى قد بتّ أشفق على الرجل .

بيراموس : لم خلقت الأسود أيتها الطبيعة

وقد قتل الأسد الشرير حبيبتى الوديعة ؟

فتاة هى - لا ، لا ، بل فتاة كانت أجمل الفتيات ،

عاشت وأحبّت وهوت ووجهها تملوه البسات . .

فيضى أيتها الدموع ، وتعال أيها السيف البتار

فاطعن صدر بيراموس ، هنا ، إلى اليسار

حيث يخفق القلب . . . وهكذا أموت .

هكذا . . هكذا . . هكذا . .

والآن قدِمْتُ وفارقتُ روحى الجسد

صاعدة إلى السماء . . فليغب ضوء اللسان ،

وليسكت القمر عن الكلام .

(يخرج ضوء القمر)

والآن أموت ، أموت ، أموت ، أموت ، أموت .

(يموت)

ديميتريوس : وهكذا يموت ، بسيفه الصّموت (١) .

ليساندر : وصار بموته نسيًا منسيًا بسبب ذلك الوحش .

ثيسيوس : أنستدعى الطبيب ليعالج هذا الجحش ؟

هيوليستا : كيف يخرج ضوء القمر قبل أن تعود ثيسبي وتعرثر على حبيبها ؟

(تدخل ثيسبي)

ثيسيوس : ستجده على ضوء النجوم . . ها هي ذى ، وبالتعبير عن ألمها تنتهى التمثيلية .

هيوليستا : لا أظنها فى حاجة إلى إطالة نعيها لمثل هذا الممثل ، وآمل أن يكون تعبيرها عن ألمها مختصرًا .

ديميتريوس : ليس بوسع أحد أن يقول أيها كان فى التمثيل أفضل ، بيراموس أم ثيسبي : فيراموس الرجل كان مصيبة ، وثيسبي المرأة كانت كارثة رهيبة .

ليساندر : ها هي وقدرات بعينها الجميلتين جثته .

ديميتريوس : وستلول بالبكاء ، كما سترون .

ثيسبي : أناثم أنت يا حبيبي ومهجتي ؟

أم أنك ميتٌ يا حمامتى ؟

قم يا بيراموس ، تكلم ، تكلم .

مالك صامتٌ كالأبكم ؟

أميتٌ أنت ؟ إذن فلا بد من مقبرة عميقة

تُخفى هاتين العينين الجميلتين عن أعين الخليقة .

وداعا إذن لهاتين الشفتين فى لون أزهار السوسن البيضاء ،

ولهذا الأنف فى لون حبات الكرز الحمراء ،

ولهذين الخدين الصفراوين فى لون زهر الربيع .

وداعا وداعا ، أيها الرجل البديع .

إبكوا أيها العشاق ، من فتیان وفتيات ،

واندبوا عينيه الخضراوين فى لون الكُرّات .

وتعال إلى أيها القدر الرهيب

ويديك الشاحبتين فى لون الحليب

أغرقنى فى بحرٍ من الدماء القانية

بعد أن قضيت على حياة حبيبي الغالية . .

لا تنطق بكلمة أيها اللسان المجنون ،

وتعال إلى صدرى أيها السيف الحنون .

وداعًا إذن أيها الأصدقاء

ويا أيها الخللان الأوفياء

وانظروا ثيسبي تنهار وتتداعى

وتقول : وداعًا ، وداعًا ، وداعًا .

ثيسيوس : وبقي ضوء القمر والأسد للقيام بدفن الموتى .

ديميتريوس : أجل . والحائط أيضًا .

بوتوم : لا ياسادة ، فقد أزلنا الحائط الذى كان يفصل بين دارى أبويهما . .

والآن ، هل تأذنون لنا بتلاوة الخاتمة ، أم تفضلون مشاهدة رقصة

إيطالية يؤديها إثنان من أعضاء فرقتنا ؟

(١) السيف الصّموت : الباتر .

المشهد الثاني

مكان آخر بالقصر

(يدخل بك)

بـك : أما وقد هبط الليل فقد عاد الأسد الجائع يزأر

وعاد الذئب ينبح القمر

وها هو الفلاح وقد أنهى عمل اليوم

يُصدر الشخير أثناء النوم

والمدفئة قد خمد وميض جمراتها

ويومة الليل تطلق صرخاتها

فتجعل المريض في سهاده

يفكر في القبر وفي مَعاده .

قد هبط الليل والقبور إنشقت

والأرواح من جوفها قد خرجت

وفي ممرات فناء الكنيسة إنتشرت .

أما نحن الجن فنعدو إلى جوار الخيل

التي تحبّ عربية مليكة الليل

هاربين من الشمس نريد الظلام

ثيسوس : لا داعى للخاتمة ، أرجوك . فتمثيليتكم ليست فى حاجة إلى الاعتذار، ولا إعتذار إن كان الممثلون كافة قد ماتوا وأضحى من المحال معاتبتهم . . . ولو أن كاتب هذه المسرحية كان قد قام بدور بيراموس ، وشق نفسه برباط ساق ثيسوس ، لكانت المسرحية تراجيديا ممتازة . . . وهى ممتازة بالفعل ، وقد أحسستم أداء أدوارها . هيا إعرضوا رقصتكم إذن ، وانسوا أمر الخاتمة .

(رقصة إيطالية ، يخرج بعدها بوتوم والعمال)

ها قد بلغنا منتصف الليل ، وهو الوقت الذى يختاره الجن للظهور . فليمض العشاق إلى فراشهم . ولا شك فى أننا سنستيقظ فى ساعة متأخرة من الصباح حيث أننا قد أطلنا السهر . كما أنه لا شك فى أن هذه التمثيلية الرديئة الحمقاء قد ساعدتنا على إحتمال بقاء ساعات الليل . . . فهيا إذن إلى الفراش أيها الأصدقاء الأعزاء . وسنحتفل على مدى أسبوعين بزيجاتنا السعيدة ، فنقضى الليالى فى احتفالات شتى وتسليات جديدة .

(يخرجون)

نرتع فيه كما ترتع الأحلام .
ولن نسمح لفأر أو لإنسان
بأن يزعج هذه الدار التى باركها الجان .
وقد أرسلونى بمكنسة أكنس بها التراب
ثم أكوّمه أكوامًا خلف الباب .
(يدخل أوبيرون وتيتانيا وأتباعهما)

أوبيرون : أضيئوا يا صغار الجن بشموعكم الدار
بعد أن انطفأت فى مدافئها النار .
واخجلوا واقفروا فى خفة الطيور
فى تنقلها بين الأغصان والزهور
وشاركونى فى غناء أنشودة بديعة
ترقصون على أنغامها بخطى سريعة .

تيتانيا : إحفظوا أولا كلماتها
ورددوا نغماتها
ولتتسك أيدينا
إذ ننشد أغانيها
وبرشاقة الجان
نبارك هذا المكان

(يغنون أغنية)

أوبيرون : ليطف كل منكم فى أنحاء الدار
حتى مطلع النهار
ولنبداً بالدوق وعروسه ندعو لهما بالخيرات
واليمن والبركات
ولنسألها المنتظر بالخط السعيد

والعمر المديد .
وللأزواج الثلاثة فى سعدهم
بأن يكون الوفاء دوماً طابع حبهم .
سائلين يد الطبيعة أن تُعفى أولادهم
من الوحّات التى تشوّ أجسادهم
مثل الشفاه المشقوقة والندوب والشامات السوداء ،
مما يُحزن الآباء رؤيته فى الأبناء .
تفرقوا إذن ، وانفضوا بواجباتكم
مستخدمين هذا الطفل فى مباركاتكم .
لا تتركوا غرفة واحدة من الغرفات
دون أن تُغرقوها بالدعوات
وادعوا لصاحب الدار بالسرور
وبالسعادة والخير والحبور .
هيا إذن وأسرعوا أيها الصغار
وقابلونى عند مطلع النهار (١) .
(يخرج الجميع عدا بك)

بك : (يخاطب الجمهور)

إن لم تكن التمثيلية قد حظيت برضاكم
فرجائي الحار من جمعكم
أن تتخيّلوا أنكم كنتم هنا نياماً
وأن ما شاهدتموه كان رؤى وأحلاماً

(١) ليذكر القارئ ما سبق أن ورد بالمقدمة من أن شكسبير ألف هذه المسرحية كى تمثل أثناء حفل زفاف . وواضح أن الداعى والعروسين مقصودون بهذه الدعوات .

واعتبروا موضوعها الثافه الهزيل

في مقام الحُلم ، قدره ضئيل .

فلا تلومونا أيها السادة الكرام ، وغضّوا الطّرف عنها

وإن غفرتُم لنا جثنا لكم بعدها بخير منها .

فإن كان الحظ هذه المرة قد خان

فإني أقسم لكم بشرف الجان

أننا كى نتلافى أنياب الثعابين والنقد الميرير

سنقدم تمثيلية أفضل بعد زمن قصير .

فإن لم نفعل فسمّوني بك الكذاب الأثيم .

طابت ليئتُك إذن أيها الجمهور الكريم .

وإن خُلصتُ نيتُكم تجاهنا فلا بأس من تصفيق

وسنُصلحُ من شأننا ، مخافة أن نبقى بغير صديق .

(يخرج)

ويليام شكسبير

١٥٦٤ - ١٦١٦

المسرحيات

١٥٩٩	٢٠ - كما تحب	١٥٩٢	١ - تيتوس أندرونيكوس
	٢١ - زوجات ويندسور	١٥٩٢	٢ - هنرى السادس (الجزء الأول)
١٦٠٠	المرحات	١٥٩٢	٣ - هنرى السادس (الجزء الثانى)
١٦٠٠	٢٢ - ترويلوس وكريسيدا	١٥٩٢	٤ - هنرى السادس (الجزء الثالث)
١٦٠١	٢٣ - همليت	١٥٩٢	٥ - ريتشارد الثالث
١٦٠١	٢٤ - الليلة الثانية عشرة	١٥٩٣	٦ - كوميديا الأخطاء
١٦٠٤	٢٥ - دقة بدقة	١٥٩٣	٧ - ترويض السليطة
١٦٠٤	٢٦ - عطيل	١٥٩٤	٨ - سيدان من فيرونا
١٦٠٤	٢٧ - الأمور بخواتيمها	١٥٩٤	٩ - خاب مسعى العشاق
١٦٠٦	٢٨ - مكبث	١٥٩٤	١٠ - روميو وجولييت
١٦٠٦	٢٩ - الملك لير	١٥٩٥	١١ - رتشارد الثانى
١٦٠٧	٣٠ - أنطونيو وكليوباترا	١٥٩٥	١٢ - حلم ليلة فى منتصف الصيف
١٦٠٧	٣١ - تيمون الأثينى	١٥٩٦	١٣ - الملك جون
١٦٠٧	٣٢ - كورويو لانوس	١٥٩٦	١٤ - تاجر البندقية
١٦٠٨	٣٣ - بيريكليس	١٥٩٧	١٥ - هنرى الرابع (الجزء الأول)
١٦١٠	٣٤ - سيميلين	١٥٩٨	١٦ - هنرى الرابع (الجزء الثانى)
١٦١١	٣٥ - قصة الشتاء	١٥٩٨	١٧ - جمعجة بلاطحن
١٦١١	٣٦ - العاصفة	١٥٩٩	١٨ - هنرى الخامس
١٦١٣	٣٧ - الملك هنرى الثامن	١٥٩٩	١٩ - يوليوس قيصر